

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# دور القصة في إرساء العقيدة والأخلاق عند الطفل: "قصص الحيوان في القرآن" \* فهوذجاً

خنساء الجاجي

القصة في القرآن الكريم:

الأدب وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية، والقرآن الكريم استخدم القصة جنساً أدبياً أعطاه حيزاً كبيراً، فحوى قصصاً عديدة تناولت الأنبياء والمرسلين وتناولت الكفار والمعاندين المكذبين، وذكرت قصصاً لأشخاص كانت لهم مواقف إيجابية جاءت الآيات الكريمة في معرض الثناء عليهم، وفي مقابل ذلك ذكرت أشخاصاً كانت لهم مواقف سلبية فجاءت الآيات الكريمة في معرض ذمهم والتشنيع عليهم، ورد ذلك بصور مختلفة متعددة تناولها العلماء والمفسرون بالشرح والتفسير، وقد ذكر سيد قطب رحمه الله أن للقصة القرآنية أغراضاً عديدة حاول جمعها في النقاط التالية وهي:

- ١- إثبات الوحي والرسالة.
- ٢- بيان أن الدين كله من عند الله من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع.
- ٣- بيان أن الدين كله موحد الأساس، والعقيدة الأساسية فيه هي الإيمان بالله الواحد.
- ٤- وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة، واستقبال قومهم لهم متشابه.
- ٥- بيان أن الأصل مشترك بين دين محمد عليه السلام ودين إبراهيم عليه السلام بصفة خاصة ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة، وإبراز أن هذا الاتصال أشد من الاتصال العام بين جميع الأديان.
- ٦- بيان أن الله ينصر أولياءه في النهاية ويهلك المكذبين، وذلك تثبيتاً لمحمد صلى الله عليه وسلم وتأثيراً في نفوس من يدعوهم إلى الإيمان.

\* للأستاذ أحمد بهجت.

- ٧- تصديق التبشير والتحذير، وعرض نموذج واقع.
- ٨- بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفياؤه.
- ٩- تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم.
- ثم أشار إلى أغراض أخرى مثل بيان قدرة الله على الخوارق، وعاقبة الطيبة والصلاح، وعاقبة الشر والإفساد، والفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة والحكمة الكونية البعيدة الآجلة<sup>(١)</sup>.
- القصة في الحديث النبوي الشريف:

يجد المطالع لسيرة سيدنا محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم اهتماماً واضحاً لديه بالقصة، وفي كتب الحديث أثبتت قصص كثيرة مثل: قصة أصحاب الأخدود<sup>(٢)</sup>، وقصة الثلاثة الذين سُدَّ عليهم باب الغار<sup>(٣)</sup>، وقصة الأقرع والأعمى والأبرص<sup>(٤)</sup>، وقصة جريج الراهب<sup>(٥)</sup>، وغيرها من القصص التي كان لها دور بارز موافق بالطبع للقصص القرآني في الهدف والفكرة.

وللنبي الكريم صلى الله عليه وسلم مواقف كثيرة تبين اهتمامه بالأطفال ورعايته لهم، ومن ذلك وصيته لعبد الله بن عباس رضي الله عنه الذي كان لا يزال غلاماً<sup>(٦)</sup>، وحديث خادمه أنس بن مالك

- ١- انظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط ٦، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ١١٨-١٢٦.
- ٢- الترمذي، جامع الترمذي، مع ترجمة للأردية: مولانا فضل أحمد صاحب، دار الاشاعت، اردو بازار، كراتشي، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله، تفسير سورة البروج، رقم الحديث: ٣١٢٣، ٢/٤١١-٤١٣.
- ٣- البخاري، صحيح البخاري، (طبعة مرقمة مرتبة حسب المعجم المفهرس وفتح الباري ومذيلة بأرقام طرق الحديث)، دار السلام، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، كتاب: حديث الأنبياء، باب: حديث الغار، رقم الحديث: ٣٤٦٥، ص ٧١٣.
- ٤- المصدر نفسه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، رقم الحديث: ٣٤٦٤، ص ٧١٢.
- ٥- المصدر نفسه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، رقم الحديث: ٣٤٣٦، ص ٧٠٧.
- ٦- انظر: جامع الترمذي، رقم الحديث: ٢٣٣٩، ٢/٨٥، فيما رواه ابن عباس رضي الله عنه فقال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف".

رضي الله عنه الذي بيّن فيه كيفية تعامل النبي صلى الله عليه وسلم معه<sup>(٧)</sup>، وغيرها من الأحاديث الشريفة التي تزرع بعظمة النبي الكريم الذي لم ينشغل بأعباء الدعوة وتكاليفها عن الاهتمام بالأطفال وإعطائهم حقهم من الرعاية، وهو أمرٌ علينا التوقف عنده لنعيّ الحكمة في ذلك فنحاول اقتفاء ذلك الأسلوب النبوي الراقى.

و"القصة تلعب دوراً كبيراً في شد انتباه الطفل، ويقظته الفكرية والعقلية، وتحتل المركز الأول في الأساليب الفكرية المؤثرة في عقل الطفل؛ لما لها من متعة ولذة، والقصص النبوية تبعث في الطفل الثقة بالتاريخ كما تُضفي على روحه الاندفاع والانطلاق، وتبني فيه الشعور الإسلامي المتدفق الذي لا يجف نبعه، والإحساس العميق الذي لا يعرف البلادة"<sup>(٨)</sup>.

#### القصة تربوياً:

ينصح كثير من المختصين التربويين بأن تُستخدم القصة كأسلوب من أساليب التعليم بشكل عام وفي مجال التربية الإسلامية بشكل خاص، لما لهذا الأسلوب من أثر كبير في توجيه أبنائنا نحو الإيمان بالله وحب الخير والتحلي بالفضيلة والأخلاق الكريمة، إذ أن من أهم خصائص القصة أنها تقدم وقائع محسوسة للمعاني المجردة، فالقصة تساعد على إدراك العقل للمعاني المجردة<sup>(٩)</sup>. والأستاذ أنور الجندي يرى أن قصص أدب الأطفال خير وسيلة لتربية وتكوين جيل حي قوي<sup>(١٠)</sup>.

٧- صحيح البخاري، كتاب: الديات، باب: من استعان عبداً أو صبيّاً، رقم الحديث: ٦٩١١، ص ١٤٥٠، عن أنس قال: "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أنساً غلام كئيب فليخدمك. قال: فخدمته في الحضر والسفر، فوالله ما قال لي لشيء صنعتُه: لمُ صنعتَ هذا هكذا؟ ولا لشيء لمُ أصنعه: لمُ تصنع هذا هكذا؟".

٨- محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، تقديم: أبو الحسن الندوي، وأحمد القلاش، ومحمد فوزي فيض الله، ومحمود الطحان، وعبد الرحمن حسن حبنكة، وأحمد الحججي الكردي، من الإصدار الموسوعي، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ١/ ١٤٨.

٩- انظر: عبد الرحمن صالح عبد الله، وناصر أحمد خوالدة، ومحمد عبد الله الصادي، مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، دار الفرقان، عمان، ط ٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ١٤٥.

١٠- انظر: أنور الجندي، صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط ١، ١٩٧٩م، ص ٢٠٤.

أما الأستاذ محمد قطب فله كلمة ذات دلالة مهمة فهو يقول: "إن استخدام القرآن للقصة في التربية يقرها كمبدأ من مبادئ التربية الإسلامية، علينا أن نستخدمه ونستغل قوة تأثيره في الكبار والصغار سواء" (١١) وهو يرى أن التربية بالقصة لون آخر من التربية يستخدم الحادث، ولكنه حادث خارجي، يقع لأشخاص آخرين غير قارئ القصة أو مستمعها... وهو يقول: "ومع ذلك فهو مؤثر في النفس كما لو كان يقع للإنسان ذاته. وهذا التأثير للقصة يقع عن طريقين اثنين في وقت واحد، يقوي كل منهما الآخر ويزيد مفعوله، أحدهما هو المشاركة الوجدانية، فالأشخاص في القصة يضاف عليهم الفن القصصي حياة وحركة فيصبحون أحياء يتملاهم الخيال ويتابع حركتهم، ومن ثم يشاركون وجدانياً فيما هم فيه من أحداث وانفعالات، فيفرح لهم أو يحزن، أو يحقن عليهم أو يتشفى منهم كما لو كانوا يعملون أعمالهم اللحظة، ويشيرون مشاعرنا تجاههم الآن.

أما الطريق الآخر فربما كان يتم على غير وعي كامل من الإنسان، ذلك أن قارئ القصة أو سامعها يضع نفسه في موضع أشخاص القصة أو يضع نفسه إزاءهم، ويظل طيلة القصة يعقد مقارنة خفية بينه وبينهم، فإن كانوا في موقف البطولة والرفعة والتميز، تمنى لو كان في موقفهم ويصنع مثل صنيعهم البطولي، وإن كانوا في موقف يثير الازدراء والكراهية حمد لنفسه أنه ليس كذلك! واعتز بنفسه أنه لا يقف مثل تلك المواقف المسففة! ومن هنا يحدث تأثير ذاتي إلى جانب المشاركة الوجدانية، ينتج من هذا التلبس بأشخاص القصة ووضع الإنسان نفسه محلهم أو بإزائهم، وعقد المقارنة بينه وبينهم" (١٢).

ولا يمكن بحال أن يُترك الطفل هماً ثم يُتوقع له أن يقوم بدور فعال خير في المجتمع، ولو كان هذا الأمر ممكناً لترى ك الناس بدون أنبياء أو رسل تعلم وتربي وتزكي، فالله عز وجل يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١٣) ويقول أيضاً: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٤).

ويقول عبد الرحمن رأفت الباشا: "إن الدعوة إلى تجنيد الفن القصصي لخدمة العقيدة وجعل القصة مطية ذلولاً للتربية والتوجيه ليست فكرة جديدة استحدثتها طبيعة هذا العصر، أو أمراً طارئاً على

١١- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط ٨، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ٢ / ١٥٥.

١٢- انظر: المصدر نفسه، ٢ / ١٥٤.

١٣- سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

١٤- سورة البقرة، الآية: ١٥١.

المسلمين اقتضته ظروف الحياة الجديدة وإنما هي أمر قديم عرفه المسلمون منذ كان الإسلام وليدًا في مكة. وحسبنا دليلاً على ذلك أن الله تعالى أمر نبيّه في محكم كتابه أن يقصّ على قومه القصص ليكون لهم فيها عبرة وموعظة وليتخذوا منها منطلقاً إلى التفكير السليم القويم الذي يهديهم إلى الحق حيث قال: ﴿فَأَقْصِبْ أَلْقَصَبَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٥).

والأدب الإسلامي اهتم بالقصة اهتماماً كبيراً فقد استطاعت القصة الإسلامية أن تثبت نفسها في ساحة الأدب الإسلامي، وذلك بجهود حثيثة لأدباء إسلاميين كثيرين مثل: علي أحمد باكثير، ونجيب الكيلاني وعبد الحميد جودة السحار وعبد الرحمن رأفت الباشا، وغيرهم من كتّاب القصص الإسلامي. وقصة الأطفال ليست أدباً فرعياً من أدب الكبار أو فعالية هامشية، أو أدباً من الدرجة الثانية، كما يتوهم البعض، بل ثقافة أساسية تخصّ الأطفال باعتبارهم كياناً مستقلاً له مداركه ومراحل نموه وميوله وثقافته، وهو مكمّن الصعوبة في أدب الأطفال (١٦).

وإذا أردنا مجتمعاً صالحاً قوياً فلا بد من إعطاء أدب الأطفال - والقصة جنس من أجناسه - اهتماماً كبيراً، فهذا الأدب هو بذرة تُوضع في تربتها الصحيحة والملائمة فلا بد من أن تنبت وتزهر وتثمر وتمتد فروعها عالياً، بإخلاص في الرعاية وفهم ووعي عميقين لأهم احتياجاتها. ولا يمكن - حسبما يرى نجيب الكيلاني - منطقياً وتاريخياً أن يعلو شأن أمة، أو تسود حضارتها إلا إذا تربى أطفالها في مناخ صحي سليم (١٧).

ولا نقصد من الأدب الموجه للطفل أن يكون أدباً وعظيماً يدفع الطفل للملل والعزوف عنه، بل نريده أن يجمع بين الفائدة والمتعة وفي نفس الوقت يغرس في نفس الطفل القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية، ومن أهم ما تقوم به القصة في أدب الأطفال هو تكوين عقيدة صحيحة في نفوس الأطفال التي هي صفحة بيضاء نقية، عندها استعداد بفطرتها لتقبل الاعتقاد الصحيح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يُولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

١٥- سورة الأعراف، الآية: ١٧٦، عبد الرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار البردى للنشر والتوزيع، الرياض، ص ١٨٣.

١٦- انظر: محسن ناصر الكنان، البحث عن النسغ الصاعد في نصوص حكاية ونصوص قصصية للأطفال، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ١١ و١٢.

١٧- نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٤٠.

يمجّسّانه، كمثّل البهيمة تُنتج البهيمة، هل ترى فيها جدّعاء؟<sup>(١٨)</sup>، فالفطرة السوية في الطفل أقوى عامل مساعد في تأدية القصة لدورها في تثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ومحمد أديب الجاجي يرى أن القصص الدينية هي الأكثر صدوراً ورواجاً بين كتب الأطفال في الدول العربية، وهذا يوضح أهميتها، ولكنها لم تنل بعد العناية الحقيقية الصحيحة الواجبة في معظمها<sup>(١٩)</sup>.

وكذلك يرى الأستاذ محمد قطب أن كتب الأطفال الإسلامية قليلة جداً إلى درجة معيبة، وإنه على الرغم من الثراء غير العادي الذي يحفل به التاريخ الإسلامي في الشخصيات والمواقف والأحداث البطولية والناذج الفائقة من البشر في كل اتجاه، فإن ما كتب عنها سواء للكبار أو الصغار ضئيل ضالّة مؤسفة، والنقص أشدّ فيما يخص الصغار<sup>(٢٠)</sup>.

أما نجيب الكيلاني فهو يضع اللوم على دور النشر التي تعرف مدى الحاجة إلى مؤلفات الأطفال، فتستغل هذه الظاهرة تجارياً، وتقدم العديد من المنشورات في أحيان كثيرة على غير أسس علمية وتربوية ونفسية وعقيدية<sup>(٢١)</sup>، لأنها تتوهم أن سهولة الأسلوب وإمكانية الفهم والاستيعاب هما الأساس في توزيع الكتاب، لذلك فهي تقدم المترجمات التي تتنافى مع عقيدتنا الإسلامية، وتملؤها بالشعارات والرموز والممارسات غير الإسلامية، وتنقل عن الغرب أسلوبه في السلوك والعادات والمعتقدات<sup>(٢٢)</sup>.

والسيدة مريم عبد الله النعيمي ترى أنه من العبث حقاً أن تظل أسواقنا وعاء لكل فكر دخيل، ومنطلقاً للترويج للقيم السلبية، ومحطة لتمرير الأفكار الساخرة بأطفالنا وقيمنا على هذا النحو البائس<sup>(٢٣)</sup>.

ونرى نجيب الكيلاني بعد أن يبين أن حرص الإعلام - من تلفاز أو مذياع أو صحافة - على التسلية والإثارة والتشويق قد أهدر الكثير من القيم الفكرية والعلمية، لكنه يعود فيؤكد على أن هذا

- 
- ١٨ - صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: ١٣٨٥، ص ٢٧٢.
- ١٩ - محمد أديب الجاجي، أدب الأطفال في المنظور الإسلامي، دار عمّار، عمّان، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ١٣٢.
- ٢٠ - محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ١٥٦/٢.
- ٢١ - هكذا! والأصح عقديّة.
- ٢٢ - الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص ٣٥.
- ٢٣ - مريم عبد الله النعيمي، أوراق من النقد الذاتي: الإعلام أتمودجاً، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ١٥٩.

لا يعني أنه ضد القيم الفنية أو الجمالية، فهي أساس لا يمكن تجاهله، لكن الذي يريده هو أن تكون الدماء التي تسري في شرايين الألوان الأدبية الإعلامية دماءً زكية إسلامية، خالية من السموم والميكروبات، وإلا كان الأمر وخيم العاقبة<sup>(٢٤)</sup>.

والأستاذ أكرم جميل فُنيس يشير إلى أن تنمية الطفولة ورعايتها هو التزام ديني ووطني وقومي وإنساني، وهو يؤكد أن القصة تمد الطفل بمعلومات معرفية كثيرة تنمي قدراته العقلية وطاقاته الإبداعية... ومنها ما يسمو بقيمه الخلقية وسلوكه الإنساني، وينمي لديه حب الوطن واحترام الآخرين، واكتساب العادات والتقاليد الحميدة، ومن القصص ما يجعله ميالاً نحو الجماعة، فيتخلص بذلك من عقدة الخجل والخوف والرعب والإجرام وغير ذلك<sup>(٢٥)</sup>.

ويقول فرانسوا نبال في المؤتمر العالمي للكتاب المنعقد في مدينة نيس عام ١٩٧١م: "إن كتاب الطفل يمكن أن يغير من ذوق العالم بل يستطيع أن يغير العالم ذاته"<sup>(٢٦)</sup>.  
قصص الحيوان في القرآن لأحمد بهجت:

من القصص التي كان لها أثر كبير في مجال أدب الأطفال كتاب قصص الحيوان في القرآن لكاتبه الأستاذ أحمد بهجت<sup>(٢٧)</sup> وهو كتاب ذكر محمد أديب الجاجي أنه للكبار ولكن وسائل النشر والإعلام تحطفته وحولته للصغار وحقق نتائج عجيبة ومؤثرة<sup>(٢٨)</sup>. وقد ذكر المؤلف أحمد بهجت أنه كتب تلك القصص ونشرت على حلقات في صحيفة الأهرام المصرية في شهر رمضان، وبعد مدة جعله في كتاب بعد قيامه بتعديلات وإضافات عليه نشرته دار المختار الإسلامي، وقد نُشر الكتاب وطُبع مرتين، وتُرجمت

- 
- ٢٤- انظر: الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص ٣٩.
- ٢٥- انظر: أكرم جميل فُنيس، التربية الوقائية والسلوك التعليمي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص ٢٠ و ١٤٤.
- ٢٦- نقلاً عن مجلة الأدب الإسلامي، من مكتبة الأدب الإسلامي، مجلد ٥، عدد ٢٠، ١٤١٩هـ، ص ٦٨.
- ٢٧- أحمد بهجت: ولد سنة ١٩٣٢م، مصري، صحفي صاحب عمود يومي في جريدة الأهرام المصرية (صندوق الدنيا)، وكاتب مبدع له أسلوب مميز في كتاباته الجدبة والساخرة، اشتهر بحبه واحترامه للحيوانات، فكتب عنها للكبار والصغار، واشتهر أيضاً بكتابات للكتب الدينية المبسطة للأطفال، من مؤلفاته: حوار بين طفل ساذج وقط مثقف، ثمانية واحدة من الحب، مذكرات صائم، بحار الحب عند الصوفية، أنبياء الله، الله في العقيدة الإسلامية، فرعون والطغيان السياسي.
- ٢٨- الجاجي، أدب الأطفال في المنظور الإسلامي، ص ١٤٥.

قصصه إلى اللغة الفرنسية للبرنامج الفرنسي في الإذاعة المصرية وإلى اللغة الألمانية، ثم طُبِعَ الثالثة في دار الشروق<sup>(٢٩)</sup>، ومحمد أديب الجاجي يرى أن ما كتبه المؤلف في هذا الكتاب نموذج راقٍ فذ<sup>(٣٠)</sup>. والأستاذ أحمد بهجت يبيّن في مقدمته لهذا الكتاب أنه اعتمد في كتابه هذا على ثلاثة أمور هي:

١- الناحية الدينية التي كان الكاتب مقيداً فيها بما ورد في القرآن الكريم عن قصص الحيوان، ولم يتجاوز هذا الأمر بتاتاً فيما يخص أحداث القصة التي تمس النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذُكر الحيوان في قصته تلك.

٢- الناحية العلمية التي اعتمد فيها على ما أثبتته العلم من حقائق تتناول حياة هذه الحيوانات وصفاتها وأهم ما يميزها في عالم الحيوان، وهذه قد أضافت بُعداً علمياً كان له فائدة في مجال إعطاء الطفل معلومات بطريقة جذابة عن أنواع كثيرة من الحيوانات التي يعرفها لكنه يجهل كثيراً من عاداتها أو تفاصيل عيشها، وهذه قد استعان لها بما توفر له من موسوعات وكتب علمية تتناول ما وصل إليه العلم الحديث فيما يتعلق بالحيوانات.

٣- الناحية الفنية الأدبية، وهذه قد تحرك فيها الكاتب بحرية وبدون قيد. وهو يطرح سؤالاً فيقول: هل هذا كتاب في الدين أو في الفن أو في العلم؟ ثم يجيب قائلاً: "أحسب أن هذا الكتاب أصلاً كتاب في الفن، إن نسيجه الرئيسي فن... بمعنى الاختراع والتخيل والإبداع... غير أن هذا النسيج الأصلي يمتزج بنسجين آخرين هما النسيج الديني والنسيج العلمي"<sup>(٣١)</sup>.

وهذه المجموعة من الحيوانات ذُكرت في القرآن الكريم، وواحد منها ذكر في السنة المطهرة،

وهي بالترتيب كما وردت في الكتاب كما يلي:

١- غراب ابني آدم، ورد ذكره في سورة المائدة: ٣١.

٢- ناقة صالح، ورد ذكرها في سورة هود: ٦٤.

٣- طير إبراهيم، ورد ذكره في سورة البقرة: ٢٦٠.

٤- ذئب يوسف، ورد ذكره في سورة يوسف: ١٧.

٥- حوت يونس، ورد ذكره في سورة الصافات: ١٤٢.

٢٩- أحمد بهجت، قصص الحيوان في القرآن، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، المقدمة، ص ١٢ و ١٣.

٣٠- انظر: الجاجي، أدب الأطفال في المنظور الإسلامي، ص ١٣١ و ١٤٥.

٣١- بهجت، قصص الحيوان في القرآن، (المقدمة) ص ١٤.

- ٦- بقرة بني إسرائيل، ورد ذكرها في سورة البقرة: ٦٧.
- ٧- عصا موسى التي تحولت إلى حية، ورد ذكرها في سورة طه: ١٧- ٢١.
- ٨- هدهد سليمان، ورد ذكره في سورة النمل: ٢٠.
- ٩- نملة سليمان، ورد ذكرها في سورة النمل: ١٧- ١٨.
- ١٠- دابة الأرض، ورد ذكرها في سورة سبأ: ١٤.
- ١١- حمار عذير، ورد ذكره في سورة البقرة: ٢٥٩.
- ١٢- كلب أهل الكهف، ورد ذكره في سورة الكهف: ١٨.
- ١٣- طين عيسى الذي تحول إلى طير حي، ورد ذكره في سورة المائدة: ١١٠.
- ١٤- فيل أبرهة، ورد ذكره في سورة الفيل: ١.
- ١٥- الطير الأبايل، ورد ذكرها في سورة الفيل: ٣.
- ١٦- عنكبوت الغار، ورد ذكرها في السنة المطهرة.

والأستاذ أحمد بهجت يقول: "نحن أمام مجموعة من أفراد المملكة الحيوانية التي لعبت دورها في الحياة وظهرت على مسرح الأحداث فترة ثم أسدل عليها الستار، ذكرها القرآن الكريم مجرد ذكر، أو قصصاً موقفاً أو أكثر من مواقف حياتها في ومضات سريعة، وبقيت حياتها نفسها غارقة في الغموض... في طفولتي أحببت هذه المجموعة من الحيوان.. كنت أقرأ قصص الأنبياء أو أستمع إليها فلا أستطيع لحدائتي سني أن ألتقط قمم المعاني منها، فكنت أكتفي بالتفكير في الحيوان الذي صاحب النبي أو كان في خدمته... وتقدم العمر أكثر وراح حبي للحيوان الذي عاصر الأنبياء ينمو في قلبي يوماً بعد يوم... وقرأت كثيراً عن طباع الحيوان وعاداته... ومن المدهش أن القرآن الكريم تنزل منذ أربعة عشر قرناً وفيه هذه الإشارة السريعة لقصص الحيوان الذي عاصر الأنبياء والأولياء ورغم ذلك فليس هناك كتاب واحد يحكي قصص هذه المجموعة من الحيوان، لماذا؟ أي سر يكمن وراء هذا التجاهل؟ وأرقني السؤال كثيراً.. ثم هُديتُ إلى السر. لقد حُكيت قصص الأنبياء والأولياء في عديد من الكتب، ولم يكن ممكناً في قصص جادة وخطيرة، يتعلق بها خلاص الإنسان وآخرته، أن يلتفت أحد لهذه الأصوات الضعيفة القريبة من الأرض، أصوات الحيوان، أو يتابع مجرى تفكيرها - لو كان لتفكيرها مجرى - أو يصور لنا دهشتها - لو كان ممكناً أن يدهش الحيوان - وهي تعيش مع الأنبياء وتشهد هذه المعجزات أو تكون هي نفسها جزءاً من المعجزات.. وهكذا ظلمت هذه المجموعة من الحيوان وانطفأت سيرتها الخاصة على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان، وإذا كانت شدة الظهور تلد الخفاء، فقد حدث الشيء نفسه هنا. ومثلاً يحدث لنجوم الليل حين تظهر

الشمس في الصباح .. حدث لهذه المجموعة من الحيوان.. لم تغادر مكانها ولكن ضوءها ذاب في الضوء الأقوى .. ذاب في شمس الأنبياء... " (٣٢).

فكأننا بالأستاذ أحمد بهجت يريد لضوء هذه المجموعة من الحيوان أن يلمع ثانية ونراه عن قرب ونستمتع به، فقام بكتابة تلك القصص التي أفضت بنا إلى عالم واسع مليء بالإثارة والبهجة وفي الوقت نفسه لم يهمل الجانب الديني فهو جانب أساسي فيه إذ ركّز على أمور كثيرة كانت ضرورية أو مفيدة للطفل من الناحية الفكرية والثقافية والعلمية، وخرج كتابه مضيئاً لبنة جديدة في صرح أدب الأطفال في وقت لم يكن هناك اهتمام بهذا الأدب الوليد إلا محاولات معدودة هنا وهناك.

وعن استخدام الحيوان في القصص المقدمة للطفل يقول الأستاذ محمد قطب: "لا بأس - تربوياً وفتياً- من استخدام الحيوان (في القصة المقدمة للطفل) ومنحه صوراً إنسانية أو استخدام مخلوقات خرافية بشرط أن يكون لها مغزى تربوي، فالطفل يصدقها في مرحلة معينة من عمره حين يكون خياله واسعاً وفياضاً، وتعطيه الأثر التربوي المقصود، ثم يكبر ويعلم أنها كانت قصص خرافة، ولا يزول من نفسه مع ذلك أثرها التربوي المقصود" (٣٣).

ويؤكد محمد أديب الجاجي أن قصص الحيوان ينبغي أن تقوم في معظم صور بنائها على ركائز

ثلاث لا بد منها:

- ١- التقيد بالموقف الشرعي والمنظور الإسلامي وعدم التناقض معه أثناء سياحات الخيال وتحركاته في ثنايا القصة.
- ٢- التقيد بالحقائق العلمية الثابتة المتضمنة لغرائز الحيوان وطبيعة حياته وخصائص توالده وطعامه وشرابه.
- ٣- الإذن للخيال والفن أن يتحرك منطلقاً يداعب الطفل ويسعده ويغنيه ويفرحه في إطار ما يحتوي عليه العلم والدين معاً (٣٤).

والأستاذ أحمد بهجت يقول: "لا بأس أن يستعين الفن بالعلم في الجزء الذي يمس طباع الحيوان وعاداته وسلوكه .. لا بأس أن يستعين الفن بالخيال في الجزء الذي يمس حياة الحيوان ومشاعره وأفكاره

٣٢- بهجت، قصص الحيوان في القرآن، (المقدمة) ص ٨ و ٩.

٣٣- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ٢/ ١٥٥-١٥٦.

٣٤- الجاجي، أدب الأطفال في المنظور الإسلامي، ص ١٤٥.

.. أما الجزء الذي يتصل بقصص الأنبياء.. فتلك حقائق على الفن أن يحني رأسه لها ويأخذها كما هي، بل إن الفن هنا ليسرف كثيراً حين يصير خادماً يدعو إلى الله بطريقته الخاصة (٣٥).

### خصائص قصص الحيوان في القرآن:

#### الخيال:

يرى محمد أديب الجاجي أن قيمة الخيال في المنظور الإسلامي أنه يستمد مادته من عوالم حقيقية وواقعية سواء كان ذلك على مستوى المادة والقوانين المادية أم على مستوى العقل المسلم وركائزه الإيمانية الغيبية، فما كان له علاقة بالواقع المادي - ماضياً وحاضراً - والقوانين الكونية، فإنما يتكئ الخيال فيه - باعتباره تصوراً إسلامياً - على كثير مما يتكئ عليه الخيال الواقعي في المجالات الأدبية الأخرى مما له علاقة بأدب الأطفال وغيره، فالتاريخ وأحوال الأمم السابقة، وقصص الطغاة، ومواقف الأنبياء، وأتباعهم، وفي تتبع النبوءات والإشارات والرموز التي وردت في النصوص الإسلامية والربط بينها وبين الوقائع التي تصدقها وتؤيدها (٣٦)، فإن ساحة الخيال في هذا المجال واسعة جداً، وإذا أضيف إلى كل ذلك ما له صلة بعالم الملائكة والأنبياء، والمعجزات وغيرها من عوالم الغيب تتضح لنا أبعاد ساحة الخيال الشاسعة في التصور الإسلامي من جهة، وواقعيته وغائيته وتوازنه من جهة أخرى، بحيث يصلح أساساً لأي عمل أدبي هادف، ومعيناً لا ينضب (٣٧).

وفي كتاب قصص الحيوان في القرآن نرى كاتبه أحمد بهجت يتقمص بخياله شخصية حيوان رافق نبياً من الأنبياء، فيتحدث بلسانه ويشرح أحاسيسه ومشاعره على شكل مذكرات، والكاتب كان بارعاً في تصوير شخصياته الحيوانية في قصصه تلك، عميق الإحساس بها، قادراً على الدخول إلى أحاسيسها وانفعالاتها.

٣٥- بهجت، قصص الحيوان في القرآن، (المقدمة) ص ١٠.

٣٦- يعطي الجاجي بعض الأمثلة ومن ذلك: قول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقول الحجر والشجر يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله..". انظر: صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: ٣٥٩٣، ص ٧٣٦؛ ورسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهورة إلى نهر النيل في مصر عندما توقف عن الجريان. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة دار المعارف، بيروت، ومكتبة النصر، الرياض، ١٩٦٦م، ٣ / ٤٦٤.

٣٧- انظر: الجاجي، أدب الأطفال في المنظور الإسلامي، ص ٤٧ و ٤٨ بتصرف يسير.

ومن أجمل ما ورد فيما يخص هذا الأمر ما جاء في قصة ذئب يوسف:

١- مشاعر الذئب وهو يعوي فيقول: "خرجتُ أستنشق الهواء أمام باب الكهف الذي أعيش فيه، ملأتُ صدري بعبير المساء النقي.. ما أروع أن يكون المرء ذئباً ثم يقف على باب كهفه ويعوي. يستحيل على رعايا المملكة الحيوانية نسيان عواء الذئب. إن صرخة طويلة وعميقة ترعش ظهره وتدفع فيه قشعريرة باردة كالثلج.. نسمي هذا العواء فيما بيننا أغنية المساء، لا نعوي أثناء النهار، مملكتنا هي الليل، ونحن نغني عندما يهبط ظلام مملكتنا العظيمة(٣٨).

٢- تمييز الذئب للروائح المختلفة في بيئته بقوله: "رفعت فمي وتشممت الهواء. أستطيع أن أميز بين أكثر من أربعين رائحة في وقت واحد. تختلف رائحة الأرض عن رائحة الأعشاب عن رائحة الأشجار عن رائحة الوعول عن رائحة الزهور عن رائحة الرمال عن رائحة.. ما هذا.. أستطيع أن أميز الآن رائحة خراف. إن غباء الخراف الأساسي أنها لا تستطيع أن تخفي رائحتها. لا تستحم الخراف جيداً ولهذا تنشر حولها في الجو أريجاً مميزاً. بالنسبة لنا نحن الذئاب.. تشبه هذه الرائحة بطاقة دعوة توجه لطعام شهبي(٣٩).

ولعل حاجة الأطفال إلى إعمال الخيال عندهم تزداد في أيامنا هذه مع وجود التلفاز الذي يراه محمد أديب الجاجي يساهم في تحجيم طاقة الخيال عند الطفل إلى حد بعيد وخطير، لأن اعتماد العرض على الصورة البصرية يشكل عامل جمود في خيال الطفل حين حصر اهتمامه فيما يقع أمامه من حركة وصوت وصورة، ولم يدع له فرصة لاستخدام خياله في هذا الذي يعرض عليه، وهو عامل ضمور وتحجيم لخيال الطفل يعكس كثيراً من الآثار السلبية عليه(٤٠).

#### التشخيص:

من أهم ما نلاحظه أن التشخيص يلعب أهم دور على الإطلاق في هذا الكتاب، والتشخيص لا ينفك عن الخيال ولا ينفصل عنه، وهو كما يراه سيد قطب رحمه الله "لون من ألوان التخيل يتمثل في خلق الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية، هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية، تشمل المواد والظواهر والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية،

٣٨- بهجت، قصص الحيوان في القرآن، ص ٥٢.

٣٩- المصدر نفسه، ص ٥٣.

٤٠- الجاجي، أدب الأطفال في المنظور الإسلامي، ص ٤٦.

وخلجات إنسانية، تشارك بها الآدميين، وتأخذ منهم وتعطي، وتتبدى لهم في شتى الملابس، وتجعلهم يحسون الحياة في كل شيء تقع عليه العين أو يتلبس به الحس، فيأمنون بهذا الوجود أو يرهبونه، في توفز وحساسية وإرهاف (٤١).

وفي كتاب قصص الحيوان في القرآن نجد في كل قصة حيواناً ما، يقدم لنا تجربته ويسرد الأحداث التي مرت به مع النبي الذي رافقه، كما استطاع الكاتب أن يخلع على شخصيات قصصه - وهي حيوانات - كثيراً من الصفات الإنسانية، فنجد الحيوان يفكر ويحس ويشعر ويفرح ويتألم ويمزج ويغرب وفي نفس الوقت هو شديد الإيمان بالله خالقه - وفي بعض الأحيان هو أفضل من كثير من الناس -، فهو موحد لله، مخلص بعبادته له من كل ما يشوبها من شرك أو غيره كما قد يكون فينا نحن البشر، ولا يسع الطفل وهو يقرأ هذه القصص إلا أن ينجذب بكليته ويتفاعل بكيانه مع ذلك الحيوان، فيدخل في عالم ذلك الحيوان من خلال الوصف العلمي لحياة ذلك الحيوان التي استطاع الكاتب ببراعة عجيبة أن يدخلها في نسج قصصه بشكل سلس وجذاب. وهذه كلمات الذئب الذي أتهم بأنه أكل يوسف عليه السلام يقدم نفسه للقراء بقوله: "أنا - كذئب - هدف لحمات مستمرة من البشر. هدف لاضطهاد دائم. يقول البشر عن أسوأهم أخلاقاً وأكثرهم تودداً للنساء إنه ذئب.. وهذه إهانة للذئب.. نحن كذئاب لا نهتم بالجنس غير شهر واحد من شهور السنة، ولسوف تجد فينا استقراراً عاطفياً وزوجياً تحسدنا عليه آلاف الفصائل الحيوانية الأخرى. لا أريد أن أطيل في الحديث عن نفسي كذئب. إنني أكتب هذه الأوراق وأنا حائق بعض الشيء.. لست حائقاً ولكنني مغيط قليلاً.. أفتقد العدل تماماً في هذه الأرض وأكره أن أجد نفسي موضع ظلم واضح يستغل فيه الإنسان رقيه وذكاءه لظلم الذئب. ذئب مظلوم أنا.. ذئب يوسف.. هذا اسمي الذي اشتهرت به في التاريخ. غير أنني أقسم أنني لم أر يوسف هذا في حياتي قط، لا رأيته ولا أكلته ولا مزقت ثيابه ولا اقتربت منه. هي مأساة من بدايتها إلى النهاية" (٤٢).

ومن أهم ما استفاد الكاتب من التشخيص باستخدامه للخيال في كتابه هذا تناول نقاط جديدة بالتوقف عندها ومن أهمها ما يلي:

٤١- انظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص ٦١ و ٦٢.

٤٢- بهجت، قصص الحيوان في القرآن، ص ٥٠.

## ١ - الإيجاء:

ويقصد بالإيجاء هنا أن الكاتب يلفت انتباه القارئ لأفكار أكثر مما يحويه ظاهر النص فيعرضها ليدركها القارئ ويفهمها، ويكتشفها بنفسه فتزيد من متعته في قراءة ذلك النص، وفي الوقت نفسه ينجح الكاتب في إيصال ما يريد من أفكاره للقارئ.

نعود إلى ذئب يوسف ثانية فهو يقول: "ليست حياة الذئب مريحة.. أعترف بذلك.. أن تكون ذئباً معناه أن تكون لك أنياب ومخالب، وليس في الدنيا أحد يخلو من الأنياب والمخالب، كل ما هنالك أن الابتسامة قد تخبئ وراءها أنياباً قاطعة ومخالب حادة، وإذن لا يحمل الناس عليها، إنها يحملون على الأنياب الصريحة.

ولا يخفى ما في هذا من إيجاء وتلميح للشر عند البشر، فالمستهجن عادة هو الأنياب القاطعة الظاهرة، مع أن الأنياب والمخالب غير الظاهرة - يقصد بها المكر والخداع والإيذاء من بني البشر - تكون أشد فتكاً وأكثر إيذاءً، وهذه الأنياب غير الظاهرة هي من صفات البشر، وليس الحيوان، فبذلك يكون إيذاء البشر لبعضهم بعضاً برأي الذئب أشدّ من إيذاء الحيوانات المفترسة التي يخشاها الناس ويجتنبونها، فالابتسامة عند البشر تخفي في بعض الأحيان أسوأ مما تبديه الأنياب الصريحة عند الحيوان.

## ٢ - تقدير المسؤولية:

أما الهدهد فهو هنا رئيس المخابرات في جيش سليمان عليه السلام وهو المسؤول عن ري عطش الجيش كله (٤٣)، وهو يقول عن نفسه: "أنا" مارهاالا" هدهد سليمان ورئيس المخابرات في جيشه، ليست المخابرات مسألة سهلة، تم اختياري من بين عشرة آلاف هدهد، امتحنهم سليمان جميعاً فوجدني أذكاهم وأقدرهم على تحصيل المعلومات ونقشها في ذاكرتي والاحتفاظ بها حية طرية، وتم اختياري يومها.. كان يوماً لا يُنسى.. ملأني الزهو.. لا أنكر.. لا أنكر أيضاً أنني أحسست بخطر المسؤولية، إن حياة الجيش كلها أمانة في عنقي الجميل الذي يحيطه تاج إلهي من الريش الملون، لا تتحرك الجيوش إلا إذا أعطيتها بنفسني إشارة التحرك الخضراء، وأنا الذي أحصل على المعلومات، وبغير المعلومات يبدو أعظم الجيوش مثل عملاق أعمى يستطيع أي طفل أن يكبه على وجهه ويهزمه، المعلومات هي حياة الجيش.. هي عينه الخفية التي يرى بها عدوه، وينتصر دائماً في الحروب من يرى أكثر، من يدري عن عدوه أكثر، مهمتي أنا أن

أعرف.. وأنا دائماً أعرف.. صحيح أنني أعمل بكل أعصابي، لكنني أيضاً أَلعب بكل حيويتي، هناك فرق بين أوقات العمل الرسمية وأوقات الفراغ الحرة... " (٤٤).

فالهدهد يعرف ويجمع معلومات استخباراتية ويقول: "استطعت تجنيد الهددة اللطيفة التي التقيت بها في سبأ.. دون أن أكشف لها شخصيتي" (٤٥)، وهو ذكي وقادر على حفظ المعلومات وتذكرها، وهو يشعر بالزهو ويحس بخطر المسؤولية، بل وهو يستطيع أن يفرق بين أوقات العمل وأوقات اللعب واللهو. وهذه كلها صفات تخص البشر.

### ٣- الإفصاح عن الآراء الشخصية:

يقول حمار عَزير: "لا أحب الأسلوب الجديد في رواية القصص من نهايتها واستخدام طريقة الفلاش باك" (٤٦).

### ٤- معنى الوفاء:

كلب أصحاب الكهف يشرح معنى الوفاء بقوله: "صادفت اليتيم قبل أن أتم الرضاعة .. وواجهت الحياة وحيداً منذ مولدي، ولولا كلبة صديقة لأمي .. لولا صدرها الحاني لما كنت أحدثكم الآن.. أرضعتني صديقة أمي حتى كبرت، وقد رعيتها في شيخوختها، وكنت أدفن لها العظام والخبز حتى إذا جاءت تزورني أخرجت لها الطعام وأعطيتها لها وجلست أرقبها وأهز ذيلي وهي تأكل. يعلم الله أنني كنت أطعمها وأنا جائع.. لم أكن أطعمها لأنها أرضعتني أو أنقذت حياتي في الصغر .. أكون نذلاً يفكر بعقلية المنفعة لو فعلت ذلك.. كنت أطعمها وفاء لصلتها بأمي وصادقتها لها.. " (٤٧).

وهذا التشخيص للحيوانات لا يكتفي به المؤلف هنا بل ينتقل التشخيص ليصل الجمادات وغير المحسوسات فهو يقول عن البحر على لسان الحوت: "حين كان البحر طفلاً لم يتجدد جبينه بملايين السنين والأمواج... " (٤٨). فالبحر كان طفلاً مشدود الجبين بدون تجعدات في إشارة إلى الشيخوخة

٤٤- المصدر نفسه، ص ١٢٢.

٤٥- المصدر نفسه، ص ١٢٨.

٤٦- المصدر نفسه، ص ١٥٧. والفلاش باك هي طريقة تستخدم في سرد الأحداث وذلك بأن تُقطع الأحداث في الحاضر للعودة بشكل مؤقت للزمن الماضي لاستعادة بعض الأحداث المرتبطة بالحاضر ثم العودة ثانية للحاضر، وهذه الطريقة شاع استخدامها في الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية.

٤٧- المصدر نفسه، ص ١٦٨.

٤٨- المصدر نفسه، ص ٦٧.

ومرور السنين، أما ذئب يوسف فهو يصف حادثة اصطياد إخوة يوسف له ووقوعه في أسرهم فيقول: "عويت عواء ضعيفاً يتضمن الأمر بابتعاد أسرتي عن المكان وتركبي للأقدار. وردت عليّ زوجتي بعواء ممزق صارخ يتلوى.. أفهمتني في عوائها أنها قادمة لإنقاذي، وليكن ما يكون.. وعويت عليها أن تنصرف لتعنى بالأولاد.. أوصيتها بأصغر ذئابي كثيراً.. وابتلعت الصحراء أصداء العواء.. عاد الصمت إلى الرمال فوجدني ملقى على الأرض مقيداً بالحبال.." (٤٩). فالصمت يعود ويحده ملقى مقيداً. ويقول: "رفعت الرمال رؤوسها وسبّحت." (٥٠).

#### ٥- الشعور والإحساس والعقل:

من مظاهر التشخيص الشعور والإحساس الذي يصف المؤلف الحيوانات به، إضافة إلى العقل الذي هو أهم فاصل بين الإنسان والحيوان، وبه تميز الإنسان عن الحيوان، بينما نرى في هذه القصص أن الحيوان له عقل ويفكر (٥١) وهذا أراه قمة التشخيص.

ومن هذه المشاعر والأحاسيس ما يلي:

#### أ- الحب والمودة أو الكره والعداء:

فيقول على لسان الحمامة في قصة طير إبراهيم: "وطن الحمام عادة مقسم مجزأ.. يحمل الحمام نصف وطنه في قلبه، ونصفه الثاني في قلب من يحب.."(٥٢). ثم يصف لنا حبه فيقول: "حمامة بيضاء أسمت نفسها "ناشا"، كان لها اسم آخر قبل أن تقع في الحب.. يقوم الحمام بتغيير اسمه حين يجب.. لا يعود الاسم القديم كافياً للدلالة على الذات الجديدة التي تولد بعد الحب.. نعرف أن ذاتاً جديدة تولد بعد الحب.. نعرف أسرار الحب كله.. نحب خالقنا الذي أوجدنا من العدم.. ونحب الهواء الذي يحملنا.. نحب الإنسان فنطعمه لحمنا بغير ما ألم.. ويبقى ما يبقى من حبنا للإنانث.." (٥٣). ثم يقول عن إبراهيم الخليل عليه السلام: "صاحب بيتنا وبيت الله.. المسافر دائماً إلى الله.. خليل الله.. كم أحبه.. يستحيل أن تدنو الخلائق من إبراهيم ولا تتأثر.. أول من وضع قلبه قوانين توحيد الحب.. أشعل جسده الكريم كالشمعة ليضيء للخلائق.. ألقاه أعداؤه في النار، فانطفأت نار الأرض في نار السماء التي تشتعل في قلبه.."

٤٩- المصدر نفسه، ص ٦٠.

٥٠- المصدر نفسه، ص ٨٤.

٥١- انظر: المصدر نفسه، ص ٤٨ و ٧٨ و ٨١ و ٨٢ و ١٧٠.

٥٢- المصدر نفسه، ص ٣٨.

٥٣- المصدر نفسه، ص ٤٠.

لا تحرق النار ناراً أعظم منها.. وليس أعظم من نار الحب.."(٥٤). ولعل الكاتب هنا قد وُفق في اختياره للحمام من بين الطيور كلها في حديثه عن طير إبراهيم عليه السلام لما لا يخفى من ارتباط الحب عند الحمام بالحب كذلك عند إبراهيم الخليل حبيب الرحمن. فهو يختم قصته بقوله: "كاد إبراهيم يذبح أحب أبنائه إليه.. مَنْ يملك القدرة على ذبح ابنه حباً في الله، يستطيع أن يدعو الطير الممزق من موته فيسرع ملتئماً ساعياً إليه.. هي قدرة الحب في الحالتين"(٥٥). أما كيف يصبح الحوت وحشاً؟ فهو يُرجع السبب في ذلك لتوقفه عن الحب فيقول: "قلت إنني أحببتُ أمي أكثر من أبي، استمرت فترة الحب ستة أشهر هي فترة الرضاعة، بعدها أحببتُ أبي عامين هما فترة المدرسة.. بعدها غاص حبي لأمي في قرار المحيط، وسقط حبي لأبي في زبد الموج، وصرتُ وحشاً حقيقياً حين كففتُ عن الحب..."(٥٦) بينما نرى أن الحب له فلسفة أخرى عند كلب أصحاب الكهف فالحب قد يصبح ترفاً في بعض الأحيان فهو يقول: "ليس في قلبي مكان للحب، عندما يستغرق السعي وراء اللقمة كل طاقة المخلوق، يصبح من العسير عليه أن يحب، الحب ترف لا يقدر عليه الفقراء من أمثالي.." (٥٧) هذا ما يتعلق بالحب لكن لننظر فيما يتعلق بالكره فنرى أن الحيوان في هذا الكتاب لا يعبر عن كرهه هو بل يعبر عن ما يحس به من كره من قبل البشر وليس من قبل الحيوان أبداً، ولعل في هذا إشارة إلى أن الكره من الشرور التي تصدر من البشر وليس ذلك وارداً عند الحيوان وهذه لفتة لطيفة من الكاتب، فنرى الغراب يقول: "كان قابيل يقف وقد مد أمامه كفيه وراح يتأمل بنظره نقطة هناك عند الأفق.. ورغم صمته المطبق فقد كانت تنبعث منه موجة من العداء تكاد تحس جسدياً.." (٥٨) فقابيل هو رمز للكره والشر، وكذلك هم قوم صالح عليه السلام فالناقة تقول: "أحبني الفقراء المؤمنون الذين اتبعوا صالحاً.. كانوا يسمونني ناقة الله(٥٩)، بينما كان رؤساء

٥٤- المصدر نفسه، ص ٤١.

٥٥- المصدر نفسه، ص ٤٩.

٥٦- المصدر نفسه، ص ٧٠.

٥٧- المصدر نفسه، ص ١٧١.

٥٨- المصدر نفسه، ص ٢٣.

٥٩- فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ تَمُودَ أَنَا هُمُ صَالِحًا قَالِ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَّ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْمِمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ الأعراف: ٧٣؛ وقوله تعالى: ﴿وَيَنْقُورِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ هود: ٦٤؛ وقوله: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيِيهَا﴾ الشمس: ١٣.

المجتمع وحكامه يسمونني ناقة صالح.. ومع الوقت، بدأت أحس أن ستاراً شائكاً من الكراهية يحيط بي ويحاصرني.."(٦٠).

ب- الاحتقار:

يقول كلب يوسف الذي كان يستمع لإخوة يوسف عليه السلام وهم يتآمرون على قتل أخيهم: "مزقني حوارهم من الداخل واحتقرت أن أشتبك مع كلاهم وآثرت أن أبتعد عن هذا الجو بأقصى سرعة"(٦١).

ج- الذكريات:

فهي من أوضح خصوصيات الإنسان فهذا ذئب يوسف تتداعى الذكريات عنده فيتذكر أخاه الذي ضاع منه وحزنه عليه ولوعته(٦٢)، ليزيد الكاتب من التمايز بينه وبين إخوة يوسف من خلال إبراز التناقض بين الصورتين أمام القارئ، صورة إخوة يوسف الذين يسعون للتخلص من أخيهم الصغير، - وما فيها من أنهم إخوة وأنه الصغير فيهم، والطبيعي أن الإخوة يحيطون بأخاهم الصغير بالرعاية والحنان لا بالسعي للتخلص منه - ، وصورة الذئب المتناع لفقد أخيه وما في هذه الصورة من تناقض مع الصورة السابقة فهو ذئب والبشر ترمي الذئب بالوحشية والقسوة ومع ما فيه من هذه الصفات اللازمة له ليستمر في عيشه، إلا أنه عندما يصل الأمر عنده فيما يتعلق بأخيه فينقلب الأمر ليكون حنوناً محبباً عطوفاً حريصاً كل الحرص على العثور عليه عندما ضاع منه، فكأن الذئب أصبح في مرتبة أعلى من هؤلاء الذين يسعون لقتل أخيهم، وهكذا الإنسان فعندما يتجاهل روابطه وعلاقاته الطبيعية من أجل مصالحه ومنافعه الشخصية يصبح أقل منزلة من الذئب الذي ينظر إليه البشر على أنه رمز للعدوان والوحشية.

د - الشعور بالذلل أو الشعور بالحرية:

من ذلك ما يقوله حمار عُزير: "إن الذل يغير من شكل المخلوق الخارجي ويغير تشريحه الداخلي"(٦٣). فهو يُرجع الفروق الجسدية بين الحمار والحمار الوحشي لما رضيه الحمار من الذل والهوان على يد الإنسان، فهو يؤكد أن أصلهما واحد ولكن بسبب أن الحمار رضي الذل والهوان على يد الإنسان فأصابه

٦٠- بهجت، قصص الحيوان في القرآن، ص ٣٤.

٦١- المصدر نفسه، ص ٥٦.

٦٢- انظر: المصدر نفسه، ص ٥٨.

٦٣- المصدر نفسه، ص ١٥٦.

الكثير من التغييرات الجسدية تفرقه عن الحمار الوحشي - مع ما في الحمار الوحشي من العزة والأنفة وما في الحمار من الخضوع والخنوع - فيقول: "طالت آذاننا وكبر رأسنا وفقدت أسناننا حدتها وقوي ظهرنا واتسع بطننا، وصارت لنا معدة جبارة يحتاج ملؤها لاحتمال ذل كثير يقع على الرأس" (٦٤). ولا يخفى الرمز هنا للذل والهوان عندما يقبل المظلوم الظلم والذل ويستكين له. أما الفيل في قصة فيل أبرهة فيقول: "إن ضرب السياط أهون من لذع الجوع.. إنني حيوان لا بد أن يأكل طناً من الطعام كل يوم.. وحين جعت أصبحت موظفاً عند أبرهة.. قتلني الجوع فتعلمت الجبن.. كنت أرفع زلومتي حين أراه.. علموني كيف أحبي الطاغية بالجوع.. عليهم وعليه اللعنة.." وهو يقول: "بعد تجربتي في السجن أدركت أن لا شيء يساوي الحرية، ولعلي أدركت شيئاً أخطر، إن ضياع الحرية يعني ضياع القدرة على الحب، ويعني ضياع مذاق الخبز الحقيقي.." (٦٥). وهنا يصبح الحمار والفيل رمزاً للإنسان الخانع الذليل، الراضي بالظلم، مع أن عنده قوة وقدرة لا يستهان بها إلا أن ذلك غائب عن فكره وهو مستمر في ركضه خلف لقمة عيشه، لا يهيمه إلا هي. ويأثلها البقرة في قصة بقرة بني إسرائيل فهي تلخص طريقتها في العيش وتبين مثلها الأعلى وشعارها فتقول: "الانفعال في عرفنا لا يجوز، مثلنا الأعلى أن نقول: دعونا نأكل الفول ونعيش. أما شعارنا في الحياة فهو: الرضوخ هو السبيل للحياة. هكذا تعلمنا وهكذا عرفنا وهكذا ورثنا" (٦٦).

#### البعد العقدي والأخلاقي في قصص الحيوان في القرآن:

استطاع الكاتب تثبيت مبادئ عقديّة في الطفل المسلم من خلال توظيفه للأحداث والشخصيات في قصصه، وحاول غرس الأخلاق والقيم التي يحتاج إليها الطفل المسلم لتكوين أسس شخصيته المستقبلية القائمة على المبادئ الإسلامية. وستناول في هذا البحث البعد العقدي والبعد الأخلاقي في هذه المجموعة القصصية لنفهم ما أراد المؤلف.

#### أهمية العقيدة:

لا شك أن العقيدة - أي عقيدة بغض النظر عن صحتها أو بطلانها - لها دور وأهمية بالغة في تكوين شخصية الإنسان، فهي المحرك الأساسي لكل ما يقوم به الإنسان من أعمال، ولما يعتمد في نفسه من المشاعر والأحاسيس. والعقيدة الإسلامية تتناول كل صغيرة وكبيرة في حياة الإنسان على هذه الأرض فمن خلال العقيدة تتضح العلاقة بين الخالق والمخلوق وتتشكل العلاقة بوضوح بين المخلوقات بعضها

٦٤- المصدر نفسه.

٦٥- المصدر نفسه، ص ١٩٤.

٦٦- انظر: المصدر نفسه، ص ٨٨.

بعض، وتتلوها الشريعة لتضع أسساً وضوابطاً توضح الطريق للناس وتنيره أمامهم ليسلكوه على ضوء العقيدة.

و"العقيدة هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات، بل حتى الخلجات التي تساور القلب والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس والهواجس التي تمر في الخيال"<sup>(٦٧)</sup>. وبها أنها ضابط يحكم ويوجه فمن الطبيعي إذن أنه إذا اختل هذا الضابط فسيُسبب خللاً لا بد وانحرافاً في النفس، وهذا الانحراف يظهر في الفكر والقول والسلوك. وكلما كان هذا الضابط صحيحاً توازنت النفس ورسدت على قواعد ثابتة واستطاعت أن تقوم بدورها المنوط بها في هذه الحياة.

ويرى عبد الباسط بدر أن الإنسان مرتبط دائماً بعقيدة معينة، وحاجته إليها فطرية تلازمه في كل زمان ومكان، لأن فيه ميلاً غريزياً إلى تبني عقيدة ما، توحد أو لا توحد، بل إن الإلحاد في ذاته عقيدة، لأنه يضع الطبيعة أو الإنسان مكان الألوهية لذلك لا يمكن أن يتجرد الإنسان من العقيدة<sup>(٦٨)</sup>.

ولكي ندرك أثر العقيدة في تصور الأفراد وسلوكهم - كما يقول د. عبد الباسط بدر - فلننظر إلى فرد ما في حالة تبدل عقيدته، ونرصد ما طرأ عليه من تغيرات فكرية وسلوكية، وسوف نجد انعطافاً كبيراً في حياته، حيث تتبدل مفهوماته وقائمة اهتماماته، ويتغير سلوكه، ونذكر أمثلة لذلك لتغير عقيدة أي من الصحابة وانتقالهم من الوثنية إلى الإسلام، كما نذكر تغير عقيدة بعض الأفراد في عصرنا الحديث أمثال محمد أسد "ليبولد فايس"<sup>(٦٩)</sup> الذي انتقل من اليهودية إلى الإسلام، و"موريس بوكاي"<sup>(٧٠)</sup> و"روجيه

٦٧- عبد الله عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، مكتبة الأقصى، عمان، ط ٣، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ١٠.

٦٨- عبد الباسط بدر، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المنارة، جدة، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٢٢.

٦٩- محمد أسد (ليبولد فايس): يهودي نمساوي اعتنق الإسلام، ثم أقام مدة طويلة في شبه الجزيرة العربية وفي المملكة المغربية، قام بترجمة معاني القرآن الكريم للغة الإنجليزية، له: الطريق إلى مكة (بشرح فيه رحلته في البلاد الإسلامية ودخوله في الإسلام)، والإسلام على مفترق الطرق ترجمه إلى العربية الدكتور عمر فروخ، توفي في إسبانيا عام ١٩٩٢م.

٧٠- موريس بوكاي: عالم وطبيب جراح فرنسي مشهور نصراني اعتنق الإسلام، بدأ بتعلم اللغة العربية وهو في الثانية والخمسين عندما انبهر بترجمة سورة المؤمنون وما فيها من وصف لأصل الإنسان وتطور الجنين وأشهر إسلامه، له: كتاب القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، نشر دار المعارف في لبنان عام ١٩٧٧م، أثبت فيه أن القرآن لا يخالف الحقائق العلمية والتاريخية بخلاف التوراة والإنجيل، وله كتاب مترجم للعربية بعنوان: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، نشر دار المعارف بالقاهرة، وكتاب أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، ترجمة فوزي شعبان ونشر دار الكتب العلمية.

جارودي" (٧١) اللذين انتقلا من النصرانية إلى الإسلام، وقد تبدلت حياة هؤلاء جميعاً وتبدلت مفهوماتهم تبديلاً جذرياً تبعاً لتغير عقائدهم" (٧٢).

والعقيدة في نفس الإنسان تفقد معناها إذا بقيت اعتقاداً في القلب وإيماناً بدون تأثير في الأفعال والسلوك، وما لم تؤدّ العقيدة إلى عمل، وما دامت العقيدة منفصلة عن العمل، فليس هناك قيمة لهذه العقيدة، وليس لها أدنى فضل، فنحن نعلم أن كفار قريش كان لهم من الاعتقاد بأن الله واحد، وأنه هو رازقهم وخالقهم، وتبين لهم بمرور الوقت ومع المعجزات التي رافقت البعثة المحمدية ومن أهمها القرآن الكريم، تبين لهم صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وخير مثال على ذلك ما ثبت من استماع أبي سفيان وأبي جهل والأخنس لتلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ثم تعاهدتهم على عدم العودة لذلك ثلاث ليالٍ متتالية وفشلهم في الوفاء بما تعاهدوا عليه مرات ثلاث (٧٣)، ومع توفر هذا الإيذان بالله عندهم إلا أنه لم يكن له فائدة أو نفع لأن هذا الاعتقاد لم يُنقّ من الشوائب والشرك، ولم يتحول إلى عمل ومتابعة لما جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من التوحيد، وتأثير ذلك التوحيد في أفعالهم وسلوكهم.

والأستاذ أحمد بهجت في كتابه الله في العقيدة الإسلامية يقول: "الأصل في العقيدة الإسلامية أن يؤدي الاعتقاد إلى عمل، أو يسفر الاعتقاد عن عمل، فإذا كان الاعتقاد شيئاً وكان العمل شيئاً آخر، فنحن أمام توحيد ناقص .. ساكن .. لا قيمة له ولا معنى ولا أثر.." (٧٤). ثم يقرر أن "التوحيد حقيقة .. غير أن هناك فرقاً بين الحقيقة كفكرة مجردة يخبئها الإنسان في عقله أو يكتنئها في تلافيف مخه .. وكونها قانوناً مؤثراً يتحكم في حركة الإنسان ويسيطر على تصرفاته .. وكل حقائق الإسلام لم تنزل ليحتفظ بها الناس في

٧١- روجيه جارودي: فيلسوف فرنسي اعتنق الإسلام، له كتاب: كيف تصنع المستقبل، نشر دار الشروق، القاهرة، ذكر

بكر بن عبد الله أبو زيد أن روجيه جارودي لم يتخل عن نصرانيته وأنه أخذ يرمي بآراء له جديدة في الإسلام، منها: أن الصلوات المفروضات ثلاث وليست خمساً، وأنه يدعو إلى عقيدة دينية جديدة تخلط بين الإسلام والنصرانية والشيعوية، وقد ردّ عليه شيخ الأزهر جاد الحق والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، انظر: بكر بن عبد الله أبو زيد، الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ط ١، ١٤٢١هـ، ص ٢٧.

٧٢- بدر، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، ص ٢٤.

٧٣- ابن هشام، مختصر سيرة ابن هشام، إعداد: محمد عفيف الزعبي، مراجعة: عبد الحميد الأحمد، دار النفائس، بيروت، ط ٦، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، قصة استماع زعماء قريش سرّاً لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم، ص ٥٤.

٧٤- أحمد بهجت، الله في العقيدة الإسلامية، المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٦٨.

عقولهم، أو يتمتعوا بها بين شفاههم .. إن الأدخار العقلي لحقائق الإسلام .. يُفقد هذه الحقائق كل معناها، ويجوؤها إلى نوع من أنواع الزخارف والحلي، ويهدر الحكمة الأصلية في استخلاف الله للبشر" (٧٥).

ومقداد يالجن يؤكد أن الإسلام ربط بين العقيدة والسلوك ربطاً لا انفصام له حتى جعل العمل دليلاً على وجود العقيدة وعلى ذلك بنى المسؤولية والجزاء، وهو يؤكد أن معظم المربين الكبار من الفلاسفة ورجال التربية المحدثين يتفقون مع وجهة نظر الإسلام في ضرورة تأسيس التربية على الاعتقاد أو على الإيمان بالله وبالآخرة وبالجزاء الضروري على كل عمل إن خيراً فخير، وإن شراً فشر إن عاجلاً أم آجلاً (٧٦).

وفي كتاب *تربية الأولاد في الإسلام* يؤكد الأستاذ عبد الله ناصح علوان أن الربط بالعقيدة من أعظم الأسس في استمرار المؤمن على مراقبة الله تعالى، واستشعار عظمتة وخشيته في كل الظروف والأحوال، وهذا من شأنه أن يقوي القوة النفسية، والإرادة الذاتية لدى الفرد المؤمن، فلا يكون عبداً لشهوته، ولا أسيراً لأطماعه وأهوائه... بل يندفع بكليته إلى تطبيق المنهج الرباني كما أنزل الله وكما أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم دون تردد أو حرج (٧٧). ومن الطبيعي إذن، القول أن واجب الأديب المسلم هو إبراز القيم العقيدية والدعوة إليها والعمل على تثبيتها بكل وسيلة ممكنة، والحذر من كل ما من شأنه أن يزعزعها أو يناقضها.

وعبد الباسط بدر يقرر أنه لا جدال في أن الإبداع الثقافي عامة - والأدب جزء منه، وهو ميدان اهتمامنا - مدين ديناً كاملاً للدفاع العقدي الذي أسهم في ولادته وتطوره... وما من معلم من معالم الثقافة في حضارتنا الإسلامية إلا وله ارتباط بالإسلام وعلومه. (٧٨).

ونجيب الكيلاني يؤكد أن المنهج التربوي الشامل للطفل لا يتم اكتماله إلا إذا راعى النواحي المختلفة التالية: العقيدة الدينية، والمنجزات والحقائق العلمية، والجوانب الترفيهية والفكاهية، والالتزامات الأخلاقية، وتنمية المهارات الرياضية، وتنمية المواهب أو المهارات والإبداعات الفنية، وإثراء الحصيلة الثقافية (٧٩).

٧٥- المصدر نفسه، ص ١٨٠.

٧٦- انظر: مقداد يالجن، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٢٦.

٧٧- عبد الله ناصح علوان، *تربية الأولاد في الإسلام*، دار السلام، بيروت، حلب، ط ٣، ١٩٨١م، ٢/ ٦٧٣.

٧٨- بدر، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، ص ٢٣-٢٤.

٧٩- انظر: الكيلاني، *أدب الأطفال في ضوء الإسلام*، ص ٢٨ و ٢٩.

وأحمد زلط يرى أن أولويات أهداف أدب الطفل المسلم: تلقين أسس العقيدة الروحية وغرس القيم والخصال الحميدة، ويرى أن أطفالنا بعد اكتسابهم تلك الأسس والقيم سيستطيعون في أطوار حياتهم أن يُكسبوا المجتمع - أو الأمة ككل - ثروة بشرية صحيحة لُقنت البيان الصائب ونالت قدراً لغوياً ومعرفياً ووجدانياً يفيدهم في معترك الحياة<sup>(٨٠)</sup>.

أما تركي رابح فيقول: "نتج عن مبدأ شمولية التربية الإسلامية لكافة جوانب الشخصية الإنسانية مبدأ آخر في غاية الأهمية تمتاز به التربية الإسلامية عما عداها من أنواع التربيّات الأخرى، وهي أنها تتجه في تربية الإنسان إلى البداية ببناء نفسه من الداخل، ثم تقيم بناءه الخارجي على أساسه، فهي ترى أن البناء الداخلي للفرد أي تكوين ضميره الحيّ اليقظ، وخلق الطيب الطاهر، ونفسه المؤمنة المتشعبة بروح الإيمان، وبمعاني الأخوة، والرحمة والعدل، والإحسان، والصدق، والوفاء، والإخلاص لكل أبناء البشر بقطع النظر عن جنسياتهم ومعتقداتهم، هو أساس العمل الناجح في الحياة، وأساس بناء المجتمع الصالح والخير في هذا الوجود، وأساس قيام الحضارة الإنسانية الصالحة، والخيرة على أسس متينة، ولذلك تقوم فلسفة التربية الإسلامية التي تستمد مبادئها وقيمها وروحها من القرآن الكريم على أربعة أركان هي:

- ١- الإيمان بالله وما يتبعه من إيمان بالملائكة والرسل والكتب...
- ٢- الأخلاق الطيبة الكريمة.
- ٣- العلم بمعناه الشامل لعلوم الدنيا وعلوم الدين معاً.
- ٤- العمل الصالح (للدنيا والآخرة معاً)<sup>(٨١)</sup>.

البعد العقدي في قصص الحيوان في القرآن:

نحن نرى أن الأستاذ أحمد بهجت قد بنى قصصه في كتابه **قصص الحيوان في القرآن** على عدة ركائز في العقيدة الإسلامية نذكر من أهمها ما يلي:

- ١- الإيمان بالله عزوجل:

الإيمان بالله هو أساس العقيدة الإسلامية كلها، فالإيمان بالله يستلزم الإيمان بالرسول لأنه ليس من المنطقي أن يكون هناك إله حكيم رحيم عادل ويترك خلقه هملاً بدون رسل تعلمهم وتزكّيهم،

٨٠- انظر: أحمد زلط، "أدب الطفولة في ضوء التصور الإسلامي"، الأدب الإسلامي، مجلد ١، ع ١، رجب ١٤١٤هـ/ ديسمبر ١٩٩٣م، ص ٨٩ و ٩٠.

٨١- تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٣.

والإيمان بالرسول يستلزم الإيمان بالكتب السماوية التي جاءوا بها، وبالملائكة التي هي في بعض الأحيان الواسطة بين الرسل والله، ويتبع ذلك كله الإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وهما من أهم الأمور التي جاء بها الرسل.

يقول عبد الله عزام رحمه الله: "إني أرى أن التركيز على مسائل فرعية من الشريعة بالنسبة للناس أمر غير منطقي، بل محاولة عابثة لاستنبات البذور في الهواء، ولا يمكن أبداً بتجميع أغصان نضرة مع بعضها في الهواء أن يتكون منها شجرة ذات جذور ضاربة في أعماق الأرض، لا بد من سلوك المنهج الرباني الذي رسمه الله لهذا الخلق، فلا بد من زرع البذرة في التربة، ثم تعدها حتى تستوي قائمة على أصولها، ثم تمتد بفروعها وأفنانها، وهكذا بالنسبة لهذا الدين العظيم لا بد من اقتفاء السبيل الذي رسمه الله لهذا الكائن حتى يحمل هذا الدين، لا بد من بناء الأساس بغرس البذرة في أعماق الأرض - أي غرس العقيدة في أعماق القلب - . والعقيدة هي الأساس المكين التي تركز عليه فروع هذا الدين كله، ومن العبث محاولة إشادة بناء ضخمة بلا أساس (٨٢). والأساس في العقيدة هو الإيمان بالله عز وجل.

في قصة "غراب ابني آدم" نرى أن الغراب وهو الراوية لتلك القصة يقول: "يجب الناس الله ويعصونه، ويكرهون الشيطانَ ويطيعونه، فما أغرب هذا النوع المسمى بالإنسان وما أفدح تناقضاته، وما أعظم حلم الله عليه ورحمته به" (٨٣). فكأن الحيوان هنا أكثر فهماً من كثير من الناس الذين يرون أن الإيمان في قلوبهم كافٍ لفلاحهم ونجاتهم ولا حاجة ملحة - برأيهم - للعمل وفق هذا الإيمان. ولا بد أن الطفل القارئ هنا سيفهم أن محبة الله ورسوله معناها الحقيقي طاعتها، وكره الشيطان معناها مخالفتها.

## ٢ - الفطرة الصحيحة:

يتحدث الغراب عن أن "حياة الغراب تقوم على قواعد أساسية من خرج عليها خرج على الجماعة واستحق نبذه وقتله، وهذه القواعد هي حاكمية خلقها الله فينا وأودعها فطرتنا وألزم جبلتنا بها" (٨٤). "فالعلاقة بين الإنسان والحيوان سيفهمها الطفل أنها علاقة تقوم على وحدانية الخالق لكليهما، فكل ما فُطر عليه الحيوان وُضع في غريزته فهو قائم بأمر الله ولحكمة يعلمها الله. وفيل أبرهة يقول: "أعرف أن اسم أبرهة سيذهب في التاريخ علماً على الكراهية والعناد، وأعرف أنه أصغر من أن يذكر في

٨٢- عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، ص ١٤.

٨٣- بهجت، قصص الحيوان في القرآن، ص ١٦.

٨٤- المصدر نفسه، ص ٢٠.

كتاب الله، إنما يشير الله إليه فينسبه إليّ، يغفل اسمه ويذكر اسمي.. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ أصحاب الفيل المشار إليهم هو النظام الحاكم لأبرهة، وأنا الفيل الذي ينتسبون إليه. أرايت كيف ينسب الله تعالى بشراً لحيوان.. إن هذا يعني أن الحيوان أعلى مرتبة، ولا ريب أنني أفضل من أبرهة.. كان هو إنساناً كافراً وكنتم حيواناً على الفطرة، والإنسان أعلى مراتب الخليقة في الأرض، ولكنه حين يكفر بالله يفقد مزيبته ويصير الحيوان أفضل منه وأكرم.. بل إن تراب الأرض يفضلته عندئذٍ.. " (٨٥).

### ٣- الإيمان بالبعث:

ناقة صالح ترى أن الإنسان إذا لم يؤمن بالبعث فإن ذلك يدفعه لارتكاب كثير من الجرائم التي تتسبب في مأساة عظيمة فتقول: "ما أعظم المآسي التي تنبع من إحساس الناس أنهم سيموتون ولن يعثوا.. " (٨٦). وهذا منطق طبيعي إذ إن الإنسان إذا فقد الإيمان بالبعث فسيكون في اضطراب وقلق عظيمين، فإذا وقع عليه ظلم لم يستطع إزاحته في الدنيا سيصل به اليأس حداً عظيماً يؤدي في كثير من الأحيان إلى الانتحار كما هو ملاحظ الآن في دول الغرب التي بلغ الإلحاد بها حداً بعيداً، بعكس الإنسان المؤمن بالبعث إذ إنه يؤمن أنه إذا لم يستطع الانتصار لنفسه وأخذ حقه فهناك يوم يُبعث فيه الناس ويأخذ حقه فيه كاملاً غير منقوص، فالإيمان بالبعث أعطاه نوعاً من الصبر المثمر.

وكذلك نرى الحماسة في قصة طير إبراهيم تتعجب من الذين ينكرون البعث بقولها: "كيف يؤمن المخلوق ببعث القلب وينكر قيامة الجسد" (٨٧). في إشارة لطيفة منها إلى بعث القلب بمعنى خفقانه بالحب بعد موته أي انعدام المحبة فيه، فتساءل بتعجب كيف يؤمنون بوجود الحب في القلب بعد عدم وجوده من قبل، وذلك كأنه إحياء للقلب بعد موته، وينكرون في نفس الوقت الحياة بعد الموت التي هي البعث.

### ٤- التوحيد في مقابل الشرك:

ناقة صالح تقدم لنا صورة عن المجتمع المنغمس في شركه، فتقول: "وُلدت في قوم ثمود.. وهؤلاء قوم أقوياء الشهوات ضعاف العقول، وقد زادت مآساتهم بثرائهم فأضيف لقوة الشهوات قدرة عليها.. وكان هؤلاء القوم يعبدون الأصنام.. " (٨٨).

٨٥- المصدر نفسه، ص ١٩٢؛ وسورة الفيل، الآية: ١.

٨٦- المصدر نفسه، ص ٣٠.

٨٧- المصدر نفسه، ص ٤٠.

٨٨- المصدر نفسه، ص ٣٠.

وفي حب الله يقول ذكر الحمام في قصة طير إبراهيم: "نحب خالقنا الذي أوجدنا من العدم، ثلاثة أرباع الحب نعطيه لله .. ونحب الهواء الذي يحملنا ..." (٨٩).

وفي قصة حوت يونس نرى الحوت في مقدمة القصة معرّفًا عن نفسه بقوله: "أعتى جبابرة البحر في البحر أنا .. وأضعف من مياه منسكبة أمام الله .. أعرف أنني وحش المياه المتوجع على الموج .. صنعت تاجي من زبد الصدق الأبيض وأعشاب الحقيقة الخضراء، وليس كالصدق والحقيقة قوة حين تتحدث عن القوة. توجتني على المياه قدرتي على الانطواء الذاتي في قلب الأبعاد الزرقاء التي لا قلب لها .. ومنحتني هذه القدرة قدرةً أجهل كنهها وإن كان كياني يسجد لها" (٩٠).

بينما نرى الهدهد في قصة هدهد سليمان عليه السلام يقول عندما علم بأن أهل سبأ لا يعبدون الله بل يعبدون الشمس: "فاجأتني كلمتها - يقصد الهدهدة التي أخبرته بذلك - وقفز سليمان ذهني على الفور أخيراً عثرتُ على قضية خطيرة قضية لم أكن أحلم بها قط ناس يسجدون للشمس أليست هذه خيانة عظمتي لتوحيد الله؟. أليس سليمان نبي الله وسيفه في الأرض؟. تدخل القضية في اختصاصه إذن .." (٩١). وهو يقول: "يعلمنا سليمان التواضع الشديد ويقول لنا دائماً: إن العظمة الحقيقية تكمن في التواضع، لأن الله سبحانه هو الذي يملك وحده حق الكبرياء، إن قوته تستند إلى قوته، أما البشر الفانون والهداهد الغانية وكل ملوك الأرض وحكامها الفانون، فهؤلاء يعطيهم الله، ولو شاء لأمسك عطاءه عنهم فضاعوا.. كيف يفخر الإنسان أو الهدهد بذكائه أو منصبه أو ثرائه أو قوته، إذا كانت القوة والذكاء والمنصب والثراء كلها ليست ملكاً لنا، وإنما هي عارية مسترجعة وقروض مسترد. يجب ألا أفخر أو أتبه أو أتكبر .. ها أنذا أخفض رأسي وأفرد أجنحتي وأصلي .. الحمد لك يا رب .. خلقتني هدهداً ذكياً وكان يمكن أن تخلقني هدهداً غيباً .. وخلقتني في مركز عظيم وكان يمكن أن تخلقني في مركز بسيط .. وخلقتني أصلاً وكان في قدرتك ألا تخلقني أساساً.. لك الحمد .. لك المجد .. لك الكبرياء .. لك الملك .. لك الحكم" (٩٢).

وهذه النقطة جديرة بالاهتمام والاستفادة منها في مجال تعليم الطفل وتربيته، وتهذيب نفسه وغرس شُكْرِ نِعَمِ الله عز وجل في نفسه، فقد اتفقت تلك الحيوانات - الناقة والحمامة والحوت والهدهد -

٨٩- المصدر نفسه، ص ٤٠.

٩٠- المصدر نفسه، ص ٦٤.

٩١- المصدر نفسه، ص ١٢٦.

٩٢- المصدر نفسه، ص ١٣٣.

على أن الله عز وجل هو وحده المستحق للشكر والعبادة لا غيره، لما وهبنا من خير وعطايا ولما أنعم علينا من النعم الظاهرة والباطنة، وتأكيد هذه المعاني وترسيخها في نفس الطفل له بلا شك أثر كبير في إرجاعه كل خير يحصل عليه لفضل الله عز وجل ومنه، ولذلك يُعدُّ شكر الله عز وجل من أفضل الأمور التي تساعد على الثبات على طاعة الله عز وجل والابتعاد عن نواهيه، فالطفل سيشعر بالحنين من أن يقترف معصية بعد ثبات معنى توحيد الله عز وجل وانفراده بأحقية العبادة والشكر من المخلوقات جميعها.

أما النملة في قصة نملة سليمان فهي تقول: "رغم أن حجمنا لا يتجاوز ملليمترين .. إلا أن الله الرحيم الكريم عوضنا عن صغر الحجم وضعف الجسد بموهبة التنظيم والإدارة وإجراء الحسابات الدقيقة. نحن لا نؤخذ على غرة، لا تدهمنا المفاجأة، نؤمن بقضاء الله وقدره، ونعرف أن كوباً من الماء يستطيع إغراق جيش من النمل، ولكن إيماننا بالله لا يمنعنا من إجراء حسابات وعمل دراسات للجدوى وتنظيم كل شيء وإدارة كل شيء بإحكام، بل إننا نفهم أن الإيمان بالله يقتضي هذا ويستوجب، فإن للكون قوانين لا تنكسر لأحد ولا تخرج على طبيعتها لمخلوق.. " (٩٣) وهذا يقنع الطفل القارئ بأن العمل وبذل الجهد وعدم التواكل من الأمور المهمة التي عليه أن يجعلها أساساً لحياته.

#### ٥- الإيمان بالرسول:

الرسول والأنبياء جميعاً يدعون إلى عقيدة واحدة، وهم يصدرون عن منبع واحد وهو توحيد الله وإخلاصه بالعبودية، وناقة صالح تقول: "قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ نفس الكلمة التي قالها من قبله هود ونوح وكل أنبياء الله ورسله، نفس الكلمة التي قالوها من قبله قالها هو من بعدهم، لا تتغير الكلمة من نبي إلى نبي، أمانة النبي في جوهرها تكمن في تسع كلمات، ﴿يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٩٤).

#### ٦- العبادة ثمرة الإيمان:

يقول ذكر الحمام في قصة طير إبراهيم: "رحمت أصلي لله صلاة طويلة، وراحت - يقصد أنثى الحمام التي معه - تصلي هي الأخرى" (٩٥).

٩٣- المصدر نفسه، ص ١٤٠.

٩٤- المصدر نفسه، ص ٣٠؛ وسورة الأعراف، الآية: ٧٣.

٩٥- المصدر نفسه، ص ٤٤.

والذئب في قصة ذئب يوسف يشرح أنواع العواء عنده ومعنى كل عواء فهو يقول: "لنا ستة أنواع من العواء لكل واحد منها معناه الخاص وتعبيره المميز، هذا العواء العميق الطويل الذي يبدأ مع سقوط الظلام هو أغنية المساء نقوم فيه بتسييح خالقنا وتمجيده.." (٩٦) ثم يكمل تقسيات العواء التي منها ما يعبر عن الوحدة واستدعاء الأنثى، ومنها عواء المطاردة الغاضب .. إلى آخر التفصيلات التي ذكرها.

أما الحوت فله عبادة خاصة به تناسبه، فهو يقول: "أقفز من السطح لأعلى نحو السماء، قفزة جبارة مثلي، هذا سجود الحيتان، يهوي الناس سجوداً نحو الأرض وتهوي الحيتان سجوداً نحو السماء" (٩٧). وهو يتذكر تدريس والده له في صغره حين قال: "يختص بذيل الحوت خمس حركات كبيرة، أوله أنه يستخدمه كزعنفة تعين على الحركة والتقدم، والثانية حين يتخذة درعاً للهجوم أو الدفاع، والثالثة حين يجرف به ويكتسح المياه، والرابعة في الاسترخاء على المياه أثناء الصلاة، والخامسة حين يرفع الشطيرتين في اتجاه عمودي على المياه أثناء التسييح، ولئن بدت الحركات الخمس سهلة على قراء المياه النظيرين فإنها في المياه جهد مفتت" (٩٨). وهو يقول: "قلبي يخشع ... وأذكر كيف تتأرجح أجساد الحيتان وأذناها عمودية على البحر ضارعة إلى الله بتسييح الصباح .. ساعتئذ يشهد لنا البحر أن الحيتان هي أشد مخلوقاته تقوى وأعظمها ورعاً" (٩٩).

وعن تسييح المخلوقات والكائنات كلها لله تقول عصا موسى: "أؤمن بالله، تؤمن النباتات بالله كما تؤمن به الجمادات، يختلف تسييح النباتات عن تسييح الجمادات، ولكن شيئاً في الوجود لا يكف عن التسييح لله.." (١٠٠).

وهدهد سليمان يقول: "خشع قلبي خلال طيراني لسريع، رحمت أسبح بحمد الله تعالى خلال طيراني فازداد ارتفاعي دون أن أحس أو أشعر، أنهيت تسييحي، فقلت أتأمل الأرض بحثاً عن المياه.." (١٠١).

٩٦- المصدر نفسه، ص ٥٢.

٩٧- المصدر نفسه، ص ٦٦.

٩٨- المصدر نفسه، ص ٧٢.

٩٩- المصدر نفسه، ص ٧٣.

١٠٠- المصدر نفسه، ص ٩٦.

١٠١- المصدر نفسه، ص ١٢٦.

أما عن معنى العبادة فتقول ناقة صالح: "العبادة تبدو يسيرة وفطرية وبديهية وحقيقة، ولكنها في الواقع الاجتماعي تكون بمثابة الثورة، إن معنى تطبيقها هجر كل الآلهة المعبودة، وكل المصالح التي تتعلق بهذه الآلهة الموجودة في أوهاام الخلق، وهذا يعني تغيير المجتمع من أساسه، ويعني إعادة بناء قيمه وتصوراته، ويعني إعادة بناء أخلاقه وعاداته، ويعني هدم المؤسسات القائمة على الشرك، وهذا يعني أن هناك مصالح سوف تنهار، وإذن تدافع هذه المصالح عن نفسها بحد السلاح.." (١٠٢).

ويعرّج الأستاذ أحمد بهجت على فكرة تسخير الكون وما فيه لخدمة الإنسان فنرى الحوت يقول: "قيل لأسلافي وهم يقفزون في البحار: "طوبى لكنّ أيتها الكائنات العظيمة، تصيرون ملوكاً للبحر لا ينازِعكم عليه غير الإنسان، يطاردكم أحياء وأمواتاً، بعد موتكم تصيرون عطراً لعدوكم، وزيتاً لقناديله وطعاماً لأطفاله، ودواءً لأمراضه، لقد سخّركم خالق الكون للإنسان" (١٠٣). وشكر الله والخوف منه من العبادة أيضاً فالحوت يقول: "أففز من المياه لأعلى، شاكرًا أنعم الإله، مرتعشاً من خشيته طالباً رضاه.." (١٠٤). وهو يصف لقاءه بالحيثان الأخرى فيقول: "رفعت ذيلي عمودياً على الماء ونفثت، رفعت الحيطان بعدي أذناها عمودياً على المياه ونفثت، قدّمت خضوعها لي، بصفتي ملكاً متوجاً على المياه، ثم قدمنا معاً خضوعنا لله، رب الموت والحياة" (١٠٥).

هذا فيما يخص الجانب العقدي أما الجانب الأخلاقي فهو لا بد سيتبعه لأن الأساس في الأخلاق الفاضلة قيامها على أسس عقيدة فاضلة وقد وردت بعض الجوانب التي اهتم بها الكاتب أحمد بهجت في كتابه وسأتناولها هنا ببعض التوضيح.

أهمية الأخلاق ودورها في التربية:

الأخلاق:

يعرّف الإمام الغزالي رحمه الله الخُلُق فيقول: "الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سُميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة

١٠٢- المصدر نفسه، ص ٣٠.

١٠٣- المصدر نفسه، ص ٦٨.

١٠٤- المصدر نفسه، ص ٧٠.

١٠٥- المصدر نفسه، ص ٧٨.

سُميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً. وإنما قلنا إنها هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ. وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم" (١٠٦). ومقداد يالجن يعرّف الأخلاق بقوله: "عبارة عن تلك المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يمددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان تنظيمًا خيراً على نحو تحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه" (١٠٧).

أما الأستاذ عبد الرحمن حسن حَبَنَكَة الميداني فيرى أن الأخلاق في المجتمع الإنساني تمثل معاهد الترابط الاجتماعي بين الناس، وأسس قوانين العدل الحامية للحقوق بين الناس (١٠٨).

وفي كتاب فلسفة التربية الإسلامية يؤكد ماجد عرسان الكيلاني أن أهمية الأخلاق والقيم أنها تحدد للأفراد والجماعات مقاييس السلوك الصائب والعلاقات السليمة في كافة ميادين الحياة وتجعل الإنسان منسجماً مع قوانين الوجود في فكره ومشاعره وسلوكه، وهي تجعل المجتمع المسلم متوازناً مع مسيرة التطور في نشاطاته ومساراته (١٠٩).

وتركي رابح يؤكد أن التربية تعدُّ بدون ريب ناقصة إذا اهتمت بكل شيء في شخصية الفرد والمجتمع وأهملت الأخلاق، فالتربية الكاملة - كما يقول المربون - هي ما اتخذت الأخلاق أساساً ونبراساً لها في عملية تكوين الشخصية الإنسانية للفرد والمجتمع؛ فإن لم ترم التربية إلى تهذيب الأخلاق فلا كانت. ثم يتساءل تركي رابح فيقول: "لماذا التربية الأخلاقية؟" ثم يجيب بقوله: "إن الجواب هو أن التربية الأخلاقية تهدف إلى هداية الإنسان إلى أقوم الطرق لتربية الخلق، واستقامة الضمير، وتعويد الإنسان على الأفعال الحميدة بتكرارها، والإدمان على ممارستها، وإبعاده عن نقائصها بهجرها واستبقاها، ولذلك فإن التربية الأخلاقية تعمل على تدريب الناشئين على العادات الاجتماعية المتأصلة التي تفي بحاجات الجماعة،

---

١٠٦ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لأبي الفضل بن الحسين العراقي، دار المعرفة، بيروت، ٣ / ٥٣.

١٠٧ - يالجن، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص ٢٨٧.

١٠٨ - عبد الرحمن حسن حَبَنَكَة الميداني، كواشف زبوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ١٩٩.

١٠٩ - ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، طبعة مزيدة ومنقحة، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ٣٦٠. بتصرف يسير.

والتي تتكون منها الحياة الاجتماعية في مجموعها، هذه العادات هي التي يفرضها المجتمع على سائر أعضائه، ويلزمهم بها، فتمكنه من البقاء، وتدخل عليه نوعاً من النظام يشبه النظام القاهر الذي تخضع له الكائنات الحية" (١١٠).

### هل الأخلاق قابلة للتغيير؟

لا شك أن الأخلاق من الأمور القابلة للتغيير عند الإنسان، ولو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ ولانتهى دور المعلم والرسول، ولترُك الأبناء بدون آباء وأمهات، إذ إنه لو لم تكن الأخلاق تتغير فلماذا يتعب هؤلاء أنفسهم في محاولة إصلاح أخلاق الناس إذا علموا أن عملهم هذا لن يؤدي إلى أي نتيجة ولن يحدث أي تغيير؟ وهذا لا يصح. ويؤكد ذلك الإمام الغزالي فيقول: "اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها" (١١١). والأخلاق منها ما هو طبيعي ومنها ما هو كسبي: والمراد من الطبيعي أن الإنسان بعد التمييز نجده مفطوراً على أخلاق معينة، فمثلاً نجد بعض الأطفال يتصف بالحياء أو العفة أو الشجاعة بدون تدريب أو تعليم، وكذلك نرى بعضهم في صغره يتصف بالجبن أو البخل أو الشر، بدون تدريب أو تعليم أو حتى تقليد للأقربين.

والمراد بالكسبي هو الخلق الذي يُربى عليه الإنسان ويُدرَّب بأساليب التربية المختلفة والتي منها التلقين والتقليد والوعظ والترغيب والترهيب... إلخ. فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للأشج أشج عبد القيس: "إن فيك خصلتين يجبهما الله: الحلمُ والأناة" (١١٢). إذن فالتربية والتدريب لهما دور كبير في تغيير الأخلاق وتهذيبها. وفي قصص العصاة والمجرمين أو الكفار الذين أسلموا وغيرهم ما لا يحصى من الأمثلة على هذا الأمر وليس هنا موضع شرح ذلك. والأخلاق الإسلامية وليدة العقيدة الإسلامية فالله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (١١٣).

١١٠ - تركي راجح، دراسات في التربية الإسلامية، ص ٤٣ و ٤٥.

١١١ - الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣ / ٧٢.

١١٢ - جامع الترمذي، باب: ما جاء في التأني والعجلة، رقم الحديث: ١٨٤٠، ١ / ٧٣٥.

١١٣ - سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

والشيخ حسن أيوب رحمه الله يقول: "لن تجد صرح الأخلاق بين المسلمين متهدماً إلا إذا كان الإسلام في نفوسهم وفي حياتهم شعاراً فقط واسماً لا مدلول له في الجانب العملي" (١١٤).  
ويقول غوستاف لوبون: "إذا ما بحثنا في الأسباب التي أدت بالتتابع إلى انهيار الأمم وهي التي حفظ التاريخ لنا خبرها كالفرس والرومان وغيرهم وجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسي تغيراً نشأ عن انحطاط أخلاقها، ولست أرى أمة واحدة زالت بفعل انحطاط ذكائها" (١١٥). وهذا ما يقرره أيضاً المؤرخ الشهير جيبون عندما يحلل الإمبراطورية الرومانية فيرجع عظمتها إلى رفعة أخلاقها ويرجع سقوطها إلى سقوط أخلاقها وانحلالها (١١٦).

فيحق لأمير الشعراء أحمد شوقي إذن أن يقول:

إِنَّهَا الْأُمَّمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ      فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا (١١٧)

البعد الأخلاقي في قصص الحيوان في القرآن:

في هذه المجموعة من القصص اهتم الكاتب بعدة ركائز للأخلاق التي يريد تشيبتها في نفس الطفل ومن أهمها:

١- التوكل على الله والتخلي عن كل ما عداه: فالذئب يقول ليعقوب عليه السلام: "أيها النبي الكريم .. كل الذئاب بريئة من دم ابنك.. " فيجيبه بقوله: "أعرف أيها الذئب .. أعرف ذلك، كيف يفترس الذئب يوسف ويظل قميصه سليماً، هو خطئي أنا أيها الذئب. قلت حين أراد إخوته أن يصحبوه: أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون .. قدمت خوفاً منك على حفظ الله له ورعايته فأصابني ما ترى.. عاقبني الله تعالى، وضاع مني يوسف وجاءوا بك بدلاً منه" (١١٨).

- 
- ١١٤- حسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط ٥، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٩٣.  
١١٥- غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة: عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ص ١٧٢؛ نقلاً عن: يالجن، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص ٤٢٢.  
١١٦- انظر: ادوارد جيبون، الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ٢٣٠-٢٥٩؛ نقلاً عن: يالجن، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص ٤٢٢.  
١١٧- أحمد شوقي، الموسوعة الشوقية (الأعمال الكاملة لأمير الشعراء أحمد شوقي)، جمع وترتيب وشرح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ٢ / ٣٧١.  
١١٨- بهجت، قصص الحيوان في القرآن، ص ٦١.

٢- جمال العطاء وعدم انتظار المقابل: فالبقرة تعرّف عن نفسها بقولها: "بقرة وراضية عن حياتي تمام الرضا.. نعمة أنا ولكن لغيري، لا أعرف متى أُذبح.. أعرف أن آلاف البقر يُذبح، ويبدو أننا نحس بنوع من السعادة الغامضة حين نُذبح.. هذا معناه أننا نحقق ذاتنا.. نتحول إلى طعام هنيء يدخل جوف الإنسان، كما نتحول إلى نعال يتعلها أبناء آدم.. نطعمه ونكسوه ونقوم على خدمته. شيء كريم أن يكون العطاء طبيعة وحيدة للمخلوق.." (١١٩) فالبقرة تعطي وتعطي وتخدم في مقابل لاشيء إلا ما تأكله وتشربه، وهي في نفس الوقت راضية كما تقول تمام الرضا عن حياتها، وتعليم الطفل على العطاء أمر ليس سهلاً، وهو أمر لا بد منه إذا أردنا مجتمعاً معطاءً في المستقبل.

٣- التحذير من النفاق: يحذر الكاتب من النفاق والتملق فيقول على لسان البقرة: "أريد أن أتكلم قليلاً عن بني إسرائيل.. ناس يثيرون دهشة البقر. تسمع الكلام فيعجبك.. وترى الأفعال فتستعجب (١٢٠).. كلامهم في وجوه بعضهم البعض حلو.. فإذا استدارت الألفية تحول الحلو إلى مر" (١٢١). وهذا الخلق من أسوأ الأخلاق التي يشدد على الحذر منها الربون والمصلحون في كل زمان ومكان.

٤- العمل وعدم الانشغال باللعب واللهو: يقول الهدهد: "العمل عمل واللهو هو.. ولن تجد أحداً يعرف اللهو حقاً إلا إذا كان يعرف العمل حقاً.. الخائب خائب في كل شيء.. في العمل واللعب.. هذه عقيدتي الثابتة.." (١٢٢) ويقول: "لا يتقدم إلا من يسلم وجهه لله أولاً.. ثم يأخذ بأسباب العلم ثانياً.." (١٢٣) والطفل بفطرته يحب اللهو واللعب وهنا يأتي دور المربي ليغرس في نفسه أن لكل من اللعب والعمل وقتاً مخصصاً له، فعليه أن لا يسمح بأن يطغى أحدهما على الآخر، وهذا الأمر من الصعب على الطفل ضبطه والتحكم فيه، فكثيراً ما ينشغل باللهو واللعب عن العمل والدراسة، فيحتاج الطفل إلى استمرار تدريب ليعطي النتيجة المطلوبة.

١١٩- المصدر نفسه، ص ٨٦.

١٢٠- إشارة إلى المثل العامي المصري: "أسمع كلامك يعجبني أشوف أي أرى أفعالك أستعجب"، في باب عدم موافقة الفعل القبيح للكلام الجميل.

١٢١- المصدر نفسه، ص ٨٨.

١٢٢- المصدر نفسه، ص ١٢٣.

١٢٣- المصدر نفسه، ص ١٣٥.

٥ - كراهية الفساد وأهمية الميزان الصحيح: يقول الكاتب على لسان حمار عزيز: "نظرت حولي في حياة الناس والحمير نظرة متأنية فاحصة فماذا رأيت؟ رأيت الجزاء لا يوزع على قدر الجهد المبذول، وإنما يوزع على قدر قدرتك على النفاق.. ورأيت أخس النفوس تجلس على عروش الكبرياء والثراء والاحترام، ورأيت أن الخطيئة التي تستطيع دفع الثمن على الأرض تواصل مسيرتها التاريخية آمنة مطمئنة، ورأيت اللصوص تسرق طعام اليتامى فيقدم اليتامى والأبرياء إلى السجن، ورأيت الإنسان تزيد قيمته في الحياة كلما زاد ما يأخذه منها، لا كلما زاد ما يعطيه لها، ورأيت الإنسان يظلم أخاه الإنسان ويستحل لنفسه ما يجرمه على غيره..." (١٢٤) والكاتب بهذه الصورة التي قدّمها للحياة التي يعيشها الناس والحمير - كما قال - يشرح الوضع الحقيقي للفساد المستشري في الدنيا والموازن المقلوبة عند الكثيرين.

#### السلوك:

- أشار الكاتب في قصصه إلى بعض السلوكيات التي من المهم تعليمها للطفل، ولها أثر لا بد على نفسيته وشخصيته وانسجامه مع المجتمع الذي يعيش فيه، ومن ذلك:
- ١ - التحدث بصوت منخفض وذم الصوت المرتفع: يقول الهدهد: "يزأر الأسد إذا تحدث كأن من حوله أصيبوا بالصمم.. مخلوق سوقي.."(١٢٥) ويوافق ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٢٦).
- ٢ - عدم التدخل في شؤون الآخرين: فنرى الأسد يحاول التدخل في حياة الهدهد ويتعمد إحراجه بكل الوسائل، ويتطفل عليه بالأسئلة ويسأله أسئلة شخصية بحته (١٢٧). وهذا يوافق ما رواه ابن شهاب عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" (١٢٨).

١٢٤ - المصدر نفسه، ص ١٥٩.

١٢٥ - المصدر نفسه، ص ١٢٣.

١٢٦ - سورة لقمان، الآية: ١٩.

١٢٧ - انظر: بهجت، قصص الحيوان في القرآن، ص ١٢٣.

١٢٨ - مالك بن أنس، الموطأ، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، كتاب: حسن الخلق،

باب: ما جاء في حسن الخلق، ٢ / ٣٢٣، رقم الحديث: ٣.

٣- الاهتمام بالنظافة: يقول الهدهد: "ضحك الأسد ضحكة هزت جدران الخيمة التي نعيش فيها فازداد نفوري منه، لماذا لا يهتم بشؤونه الخاصة ويستحم، إن رائحة الأسد تزكم الأنوف، وما كلمته يوماً إلا وأنا أدير منقاري بعيداً عنه" (١٢٩). والاهتمام بالنظافة وطيب الرائحة من الأمور التي حثَّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المسلمين عليها فقد روي عن عمرو بن سليم الأنصاري أنه قال: أشهد على أبي سعيد قال: أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستنّ، وأن يمسّ طيباً إن وجد" (١٣٠).

٤- عدم إيذاء الحيوانات: يحذر الكاتب من إيذاء الحيوانات، وهو يقول على لسان الملك المؤمن في قصة أهل الكهف: "إننا لا نقتل الكلاب بغير جريمة.. من يؤمن بالله لا يؤذي مخلوقاته الأضعف..". (١٣١) وليس ببعيد عن هذا مارواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بينما كلب يُطيف بِرَكِيَّةٍ كاد يقتله العطش إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنزعت مُوقها فسقته فغُفر لها به"، وما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عُدَّتْ امرأةٌ في هَرَّةٍ ربطتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خِشاش الأرض" (١٣٢).

٥- تناول الطعام بطريقة مناسبة: كان أسلوب الكاتب في إيصال الفكرة الخاصة بسلوك تناول الطعام جميلاً ومثيراً لضحك الطفل ومتعته فيقول على لسان البقرة: "من المعروف أن البقر يستطيع أن ينظر أمامه.. أو خلفه.. أو يمينه أو شماله.. لكن البقر لا ينظر لأعلى أبداً.. لا تنظر البهائم لأعلى.. ليست هناك بقرة تنظر لأعلى وتتأمل الشمس.. لو صح أن هناك شمساً.. على أي حال.. إذا كان وجود الشمس غير مؤكداً.. فإن الشيء المؤكد هو وجود الفول.. أكلت في الصباح قدراً عظيماً من الفول.. زلقت الفول بنصف مضغ.. توفيراً للوقت والمجهود وتأكدت من التهام أكبر كمية ممكنة.. بعد ذلك أرقد على بطني على الأرض.. أجت ما أكلته في الصباح.. جيج.. جيج.. صوت فمي وهو يمضغ.. متعة هو المضغ.. والبلع أمتع..". (١٣٣) فمن

١٢٩- بهجت، قصص الحيوان في القرآن، ص ١٢٤.

١٣٠- صحيح البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الطيب للجمعة، رقم الحديث: ٨٨٠، ص ١٧٤.

١٣١- بهجت، قصص الحيوان في القرآن، ص ١٧٦.

١٣٢- صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، رقم الحديث: ٣٤٦٧ و٣٤٨٢، ص ٧١٤ و٧١٧.

١٣٣- بهجت، قصص الحيوان في القرآن، ص ٩٠.

خلال هذا النص على لسان البقرة يتأكد في ذهن الطفل أنه مختلف عن الحيوان بمعرفته وعقله، فمن البديهي عنده وجود الشمس والسماء اللتين تشكل البقرة في وجودهما، ثم تأتي طريقة تناولها لطعامها فقد كان الوصف لذلك لا بد سيثير سخرية الطفل وضحكه وفي الوقت نفسه سيتأكد في ذهنه أن هذا السلوك لا يناسب الإنسان، فالحيوان وحده الذي يأكل لأجل ملء بطنه فقط وبأكبر كمية ممكنة، وقد ختم المؤلف ذلك بالصوت الذي استطاع الطفل سماعه لعملية الاجترار عند البقرة - للمضغ والبلع أيضاً - وهو من الأمور المثيرة للاشمئزاز. وعن أبي نُعيم وهب بن كيسان عن عمر بن أبي سلمة وهو ابن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال: أكلت يوماً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً فجعلت أكل من نواحي الصحيفة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سَمَّ اللهُ وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ" (١٣٤).

وهكذا فإن الكاتب استطاع ببراعة أن يقوم برسم صور واضحة لكل فرد من أفراد المجموعة الحيوانية التي اختارها ممن رافق نبياً من الأنبياء، وكانت هذه الصور واضحة الدلالة على تأصل التوحيد فيها وسلامة الفطرة وانقيادها لخالقها وعدم تلوثها بالشروخ والآثام، وفي الوقت نفسه قدّم كثيراً من المعلومات التي تساعد الطفل على تفهم البيئة والسلوكيات الطبيعية لكل حيوان، بشكل يوضح فهم الحيوان للعلاقة بينه وبين الإنسان وعلاقته ببقية الحيوانات من بني جنسه أو من غيرهم. كل ذلك بأسلوب جذاب فكاهي ساخر في كثير من الأحيان وهو أسلوب تميز به الكاتب أحمد بهجت في كل كتاباته.

\*\*\*\*\*